جامعة زيان عاشور بالجلفة

كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية

قسم التاريخ وعلم الآثار

مطبوعة خاصة بمقياس:

تاريخ الجزائر المعاصر 1

دروس موجهة لطلبة السنة الأولى ماستر تاريخ المغرب العربي المعاصر

السداسي : الأول الرصيد:05 المعامل:03 التقييم: (مراقبة – إمتحان)

إعداد: الدكتورة :علجية مقيدش

السنة الجامعية: 2023 . 2024م

المحاضرة الأول: الأوضاع العامة للجزائر قبل الاحتلال الفرنسي 1827- 1830 .

تمهيد

تميز الوضع العام في الجزائر بتأثره بنظام الحكم في الدولة العثمانية في جميع المجالات السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية لمدة زمنية فاقت ثلاثة قرون من جهة، وبشخصيات الحكام الأتراك من جهة أخرى، والتحرشات الخارجية -التي جعلت الجزائر ودول المغرب الإسلامي يواجهونها ويتصدون لها مما شغلهم عن البناء والتطور- والاضطرابات الداخلية ، وعموماتميزت هذه الأوضاع بالاستقرار و الازدهار في بعض الأحيان و الاضطرابات و الانحطاط أحيانا أخرى مما أدى إلى الاحتلال في نهاية المطاف.

1- الأوضاع السياسية على الصعيد الداخلي و الخارجي

-الاوضاع السياسية الداخلية

عهد الدايات (1671-1830م): في نهاية فترة الاغوات حدثت ثورة عام1671 م وتم انتخاب الحاج محمد التريكي (1671-1682م)كأول داي في الجزائر ، وآخرهم كان الداي حسين (1818-1830م) تميزت بدايةهذه المرحلة بالاستقرار نسبيا ،ويعتبر الداي شعبان (1689-1695م) من أشهر الدايات فيها، حيث شهدت فترة حكمه اشتداد الصراع مع فرنسا والمغرب الأقصى وتونس،أما المرحلة الثانية فعرفت تميزت بالاستقلال عن الدولة العثمانية منذ عهد الداي علي شاوش عام 1710م الذي طرد الباشا المعين من طرف السلطان .

ومن أشهر دايات هذه المرحلة الداي محمد عثمان باشا (1766-1791م) والداي علي (1809-1815م)والداي حسين (1818-1830م)، حيث تحولت الجزائر إلى دولة

إقليمية تتمتع باستقلال شبه تام عن الدولة العثمانية وتحولت الجزائر الى جمهورية عسكرية.

تميزت هذه المرحلة بالتنافس الحاد بين كبار رجال الدولة في الديوان(الانكشارية ورياس البحر) للوصول الى الحكم مما تسبب في كثرة الاغتيالات و التمردات ، فتراجعت هيبة الدولة الجزائرية فتآمرت عليها الدولة الحسينية في تونس والدولة السعدية في فاس.

ومن جهة أخرى أدى الانقلاب الصناعي لدول غرب أوروبا في النصف الثاني من القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر إلى تطوير بحريتها وأسلحتها فتحررت من قبضة الجزائر فشنت حملات عدوانية ضد الجزائرتسببت في عرقلة ممارسة الجهاد البحري مما أدى الى توجه الحكام الى اثقال السكان بالضرائب الكثيرة والمتنوعة،والتي لم تكن قارة وانما كانت خاضعة للظروف ، ولم تستثنى أي مادة من الضرائب حتى في زمن القحط والأوبئة والجفاف ،وشنوا حملات مباغتة لجمع الضرائب وفرض الغرامات وتأديب القبائل الممتنعة بطرق وحشية ومنها رحلة محمد الكبير باي الغرب إلى الجنوب الجزائري عام 1787م، حيث تم تجريد ونهب هذه القبائل من كل ممتلكاتها (حبوب –قطعان الماشية – سمن –قماش- أموال -جمال –خيول ...الخ).

كانت هذه الضرائب سببا في إثارة الأهالي الجزائريين ودعم التمردات والثوارات على الحكم ومنها ثورة سكان العاصمة والقبائل المجاورة عام 1692 الذين استغلوا فرصة غياب الانكشارية الذين قادوا حملة ضد المولى اسماعيل وذلك بإشعال النيران في مرافق الميناء وبعض السفن الراسية به، لكن بعد الانتصار الباهر الذي حققه الانكشارية على الجيش المغربي قاموا بسحق التمرد وفرض ضرائب وغرامات قاسية على القبائل الثائرة وإعدام الثوار. كما ثار الانكشارية عام 1700على اثر انتصار تونس على مليشيا قسنطينة الجزائر مما اضطر الباي للتنحي عن الحكم .وتنصيب كراغلة تلمسان في عهد ابراهيم باشا كوجوك ، حيث سيطروا على المدينة وطردوا منها الحامية التركية ، كما

حاولوا الاتصال بكراغلة مدينة الجزائر للانضمام الى حركتهم ، لكن الداي تفطن للأمر وقضى على تمردهم بالقوة ، كما شهدت مناطق كثيرة من الجزائر تمردات وثورات ومنها: ثورة درقاوة (فتنة)التي أشعلها ابن الأحرش في الشرق الجزائري (جيجل) بسبب قسوة الحكام، وامتدت إلى غاية عاصمة الإقليم قسنطينة في الفترة ما بين 10جوان إلى 10 جويلية 1804، بهدف السيطرة على الحكم في بايلك الشرق .وفعلا تمكن من قتل الباي عثمان وأخذ كل أمواله ،.كما اشتعلت ثورة أخرى في الغرب الجزائري قادها عبد القادر بن الشريف(1800-1805م)،أصله من قبيلة فليتة بالقرب من معسكر ،اتصل بشيخ الطريقة الدرقاوية بالمغرب ،و اتخذت ثورته من الونشريس وجنوب التيطري إلى غاية الحدود المغربية مركزا لها ، أما العاصمة الروحية لهذه الثورة فكانت فاس ، و كان الغرض منها إضعاف السلطة المركزية في الجزائر

كما اندلعت حركات تمرد أخرى ومنها ثورة الباي بوكابوس الدرقاوي الذي حكم في الفترة مابين (1808-1813) في بايلك الغرب الجزائري، تحالف مع السلطان المغربي لدعمه غير انه كلف بتأديب باي تونس لكنه عوض تنفيذ الأوامر أعلن العصيان وقام بقتل الأتراك الذين كانوا في جيشه ،وطلب من اسبانيا وبريطانيا تزويده بالسلاح مقابل امتيازات مختلفة غير انه لم يتحصل على الدعم الكافي ففشلت مقاومته وأعدم هو وأولاده كما اندلعت ثورة التيجانية(1825م) في عهد الداي حسين (1818-1830م)، في الغرب الجزائري بزعامة محمد التيجاني ،بسبب الحملات التأديبية والضرائب الجائرة ، وتحريض كل من سلطان المغرب و باي تونس، لكن الثورة فشلت.

كما اندلعت العديد من ثورات قبائل فليسة(1767-1773م)، التي أخمدها الداي محمد عثمان بمساعدة صالح باي قسنطينة ومحمد الكبير باي معسكر .

- الأوضاع السياسية الخارجية

-على المستوى المغاربي

توتر العلاقات الجزائرية المغاربية، فقلما ما كانت ودية أو حسنة ، فمثلا مع تونس كانت الجزائر تعتبرها إقليما تابعا لها و تونس ترفض ذلك فبرزت أطماع تونس في قسنطينة والشرق الجزائري وهذا من خلال الحملات التي شنها بايات تونس على المناطق الحدودية في فترات مختلفة ناهيك عن تحريضهم لبعض الأدعياء من شيوخ الطرق الصوفية .

ومن جهته كان للمغرب أطماع قديمة في تلمسان ، كما كان ينظر للجزائر كخطر يهدده و يجب تفاديه حتى و ان اقتضى الأمر التحالف مع الغرب . فقد تآمر سلاطينها مع الإسبان والبرتغاليين واعتبروا الجزائر خطرا محدقا بهم بسبب قوة الأسطول من جهة ،ومن جهة أخرى إصرار حكام الجزائر ورغبتهم في ضم هذا الإقليم إلى الدولة العثمانية ،لذلك اعتبروا الجزائر خطر محدقا يهددهم ،فعملوا على تحاشي الصدام معهم ، وفي الكثير من الأحيان تحالفوا مع الغرب الصليبي(اسبانيا –البرتغال –فرنسا –وبريطانيا...) لضمان سلامتهم مقابل تنازلات مخزية.

ومن هذه المؤامرات زحف تونس و المغرب الاقصى وطرابلس على قسنطينة عام 1702، وهجوم المغرب على تلمسان في الكثير من المناسبات لكن بدون جدوى، وهكذا ظلت المواجهات مستمرة الى أن ضعفت الدول المغاربية، فاضطرت لتقديم امتيازات من اجل الحصول على قروض وهو الأمر الذي سمح لصعود القوى الأوروبية التي عقدت اتفاقيات فيما بينها عرفت باتفاقيات اللصوص بهدف تصفية المسألة الشرقية، مما أدى إلى تجدد الحركة الاستعمارية ووقوع هذه الدول المغاربية في مخالبها تحت مسميات عديدة .

-على المستوى الأوروبي

نتيجة لموقعها في غرب المتوسط اقامت الجزائر علاقات سياسية وتجارية مع عدة دول أوروبية تبادلت التمثيل الدبلوماسي معها، لحفظ مصالحها التجارية من القرصنة بتقديم الترضيات المالية لها والهدايا، علما ان هذه العلاقات لم تخل من نزاعات وحروب بسب التنافس فيما بينها.

1-مع بريطيانيا

كان للجزائر علاقات ودية في غالب الأحيان مع بريطانيا ، فاستفادت الجزائر من التنافس الحاد بين بريطانيا وفرنسا ، تخللت تلك العلاقات معاهدات سلام ، نصت على تنشيط التجارة بين البلدين ،وسلامة سفنها من الجهاد البحري، ومع ذلك شنت حملات عدوانية مدينة الجزائر عامي 1660 و 1670، وعام 1671م ،حيث قام أسطولها بتحطيم السفن الراسية بميناء بجاية أثناء الهجوم الذي قاده (إدوارد سبراغ –E Spreg)، بعدها عقدت معاهدة سنة 1681م بين الطرفين نصت على حرية الملاحة واطلاق سراح الأسرى من الطرفين وحصول الجزائر على العتاد الحربي فتحسنت العلاقة بينهما، مما أدى إلى توسيع الامتيازات الانجليزية عام 1703م بعد الحملة الفرنسية على مصر ،ارسلت بريطانيا للداي باخرتين محملتين بالهدايا حتى يجعلها محل فرنسا في مراكز صيد المرجان ، وقد استجابت لها الجزائر في سنة 1806 ، حيث سحبت الامتيازات من فرنسا ومنحتها اياها الى غاية 1816 ، التاريخ الذي شنت فيه بريطانيا حملتها على الجزائر ،وحرقها للأسطول الجزائري غدرا في الميناء.

2-مع اسبانيا

تميزت بالتوتر في معظم فتراتها بسبب احتلال إسبانيا للمرسى الكبير ووهران ، والحملات المتكررة على المدن والموانئ الجزائرية.

3-مع الولايات المتحدة الامريكية

كانت الجزائر كعادتها السباقة في الاعتراف بامريكا كدولة مستلقة عن بريطانيا عام 1776، كما منحتها مساعدات كثيرة ، لكن الاعتراف والمساعدات لم يمنع الجزائر من ان تفرض على امريكا الاتاوات التي كانت تفرض على كل الدول الاخرى المارة على البحر المتوسط ، ويبدو ان الكونغرس الامريكي الذي اعتبر ان الجزائر بعدية وان علاقته بالبحر المتوسط قليلة ،فقرر ان لا يقدم الاتاوة ، وعليه اعلنت الجزائر على امريكا حربا وارسلت اسطولها الى المحيط الاطلسي فاسر مجموعةمن البواخر الامريكية وقادها الى السواحل الجزائرية ، مما جعل الكونغرس الامريكي يرسل وفدا يفاوض ويلتمس المساعدة لدفع الاتاوة ، وتم توقيع على معاهدة السلام بين دولتين عام 1796، وبمقتضاها تدفع امريكا 721 الف دولار اسباني ، هذا مقابل اطلاق سراح البواخر المحتجزة ، وكذلك تعترف امريكا بدفع مبلغ 22 الف دولار اسباني سنويا للجزائر.

4-هـولندا

تميزت طبيعة العلاقات بالطابع التجاري ،حيث عقدت معاهدة بين الطرفين عام 1677م تجددت عام 1679م تضمنت حصول الجزائر على إتاوة سنوية تتضمن عتاد حربي ثم دعمتها بمعاهدة ثالثة عام 1681م، لكن الجزائر أعلنت الحرب ضدها في عهد الداي الحاج حسين عام 1686م حيث تمكن الأسطول الجزائري من غنم عدد كبير من السفن بحمولتها الباهضة الثمن ،واغرقت الكثير منها ،مما أضطرها إلى استرضاء الجزائر بالهدايا وبعدها جددت معها المعاهدة سنة 1712م التي أكدت مطالب الجزائر في إقرار اتاوات حربية مقابل حرية الملاحة والاستفادة من الامتيازات.

4-العلاقات الجزائرية الفرنسية

تميزت العلاقات بين الجزائر وفرنسا بالتوتر تارة والتقارب تارة أخرى منذ انخراط الجزائر في الدولة العثمانية ، بهدف إخراج فرنسا من الحلف الصليبي المقدس الموجه ضد الدولة العثمانية ، قام السلطان سليمان القانوني سنة 1535م بإبرام معاهدة مع الملك الفرنسي فرنسوا الأول، ونصت على حصوله على امتيازات صيد المرجان في الجزائر وتعيين قناصل فيها،وتكليف خير الدين باشا بتحرير الأراضي الفرنسية المحتلة من طرف إسبانيا ، فكانت بداية لعلاقات جيدة بين البلدين ترتب عنها تعيين أول سفير فرنسي في الجزائر وهو جان دو لافرونت ، ثم تعيين القنصل الفرنسي سنة 1538 ، ثم التحق به عدد كبير من القناصل والسفراء من أوروبا وأميركا.

مع تنامي العلاقات السياسية الجزائرية –الفرنسية ،كانت العلاقات الإقتصادية تتطور و ترجمت بانشاء المراكز التجارية ومنها مدينة القالة ،غير أن هذه العلاقات ما لبثت أن توترت بين البلدين بسبب رغبة الملك لويس 14السيطرة على البحر الأبيض المتوسط ،بعد رفض الديوان إقرار معاهدة 1665م ،التي رسمت الامتيازات لذلك شنت كل من انجلترا وهولندة ثم فرنسا على مدينتي الجزائر و احتلال مدينة جيجل عدة أسابيع عام 1665م.

كما تصدى الداي حسن شاوش للأسطول الفرنسي بقيادة دوكين-Duquesne على ميناء شرشال عامي 1682م وبعدها اتجه إلى مدينة الجزائر التي قصفها خمسة أيام متواصلة تسبب بأضرار كبيرة وتكرر القصف في سنة 1683في عهد الداي بابا حسن الذي قدم تنازلات أدت إلى عزله وقتله، لتعود من جديد الى طبيعتها في عهد الداي محمد بن عثمان وحكومة الثورة الفرنسية 1789 التي بادرت الجزائر بالاعتراف بها ، كما قدمت لها مساعدات غذائية تمثلت في الدقيق ، القمح ، الشعير و الصوف غيرها وهذا بطلب صريح

من حكومة فرنسا ، في الوقت الذي كانت فيه الانظمة الملكية الأوروبية تحاصر فرنسا سياسيا واقتصاديا قصد القضاء على النظام الجمهوري الجديد.

وفي عام 1793 قرر الداي حسين ان يعطي فرنسا قرضا خاصا لشراء المواد الغذائية من الجزائر قدره مليون فرنك ذهبي ، واتبعه في العام التالي 1974 قرض آخر قدره مليوني فرنك ذهبي ، وتجاوزت مساعدات الجزائر الغذائية لفرنسا الى مساعدات عسكرية تمكنها من الوقوف في وجه اعدائها.

لكن في عهد الداي مصطفى باشا توقفت المساعدات الجزائرية لفرنسا وذلك بعد ان رفض تقديم المعونة والدعم الذي طلبهما نابليون بونابرت ، بسبب الحملة التي شنها ضد مصر سنة 1798وقطع العلاقات مع فرنسا عام 1799م وحجز القنصل الفرنسي، و تدمير المراكز التجارية في القالة ،ولم يعد لها امتيازاتها الا بعد انسحابها من مصر.

واكثر من ذلك وجه انذارا لفرنسا ان تسدد الديون التي عليها لجزائر بما انها اصبحت قادرة على شن الحروب وحدها ، وإلا اعلن الحرب عليها ، وقد علل مصطفى باشا موقفه هذا بقوله :" ان الدول المسيحية في اوروبا تدين بالولاء المعنوي للكنيسة وهي كذلك تهرع لمساعدتها كلما دعتها لذلك ، وبالمقابل فان الدول الاسلامية حيثما وجدت يجب ان تكون هي ايضا مدينة بالولاء لخلافة الاسلامية ، ولان مصر دولة اسلامية معتدى عليها من طرف دولة مسيحية فان الواجب يفرض على حاكم دولة اسلامية ان يقف الى جانبها وان لا يبقى وسائله وامكانياته في حوزة المعتدي".

وبعد انسحاب نابليون من مصر بعث برسالة الى داي الجزائر مع اخيه جيروم يلتمس فيها من الداي مصطفى باشا اعادة النظر في العلاقات الفرنسية الجزائرية ، ويعيد المساعدات التي كانت تقدمها الجزائر لفرنسا ، وتعهد نابليون بالوقوف الى جانبه

دبلوماسيا لمواجهة المتحالفين ضده في اوروبا ، وقد قبل داي الجزائر هذا العرض وعادت العلاقات الى طبيعتها

لكن سرعان ما توترت العلاقات الفرنسية الجزائرية من جديد ، بسبب عدم تقديم قنصل نابليون "ديبواتانفيل " الهدية التي اعتاد القناصل تقديمها له ، وحين طلب الباشا رسميا على اساس انها شي واجب ، رد عليه نابليون برسالة ساخطة هدد فيها بتحطيم الاسطول الجزائري ، وانذر بان فرنسا على عهده ليست هي فرنسا على عهد البوربون ، وكان نتيجة ذلك ان احتجزت الجزائر سفينتين فرنسيتين وضربت اخرى في ميناء تونس من احد الجزائريين.

كما اقدم الداي احمد باشا على سحب الامتيازات من فرنسا ومنحها الى منافستها بريطانيا عام 1806 الى غاية 1816 اين اعادتها للمرة الثانية لفرنسا ، وبعدها جاءت ازمة ديون الجزائر على فرنسا وما ترتب عنها من نزاع الى احتلال.

يجدر بالذكر ان عدد المعاهدات المنعقدة بين الجزائر و فرنسا كبير بلغ السبعين وهي معاهدات سلم تجارة، تم التوقيع عليها في سنوات مختلفة 1619،1534، 1666،1662،1661،1640،1628، أكثر هذه المعاهدات تخدم مصالح فرنسا .

كما تنوعت المساعدات التي قدمتها الجزائر لفرنسا بين المساعدات العسكرية البحرية ، والمساعدات الدبلوماسية للثورة الفرنسية ، والمساعدات الاقتصادية والمالية للثورة .

غير ان اطماع فرنسا التوسعية كانت تحول دون استقرار علاقتها السياسية مع الجزائر.

ويرجع بعض المؤرخين النزاع الفرنسي الجزائري الى عدة اسباب من اهمها:

1-تطلع فرنسا الى تحقيق مكاسب واسعة في الجزائر.

2-اعتماد اسلوب القوة تجاه اي خلاف ينشب ما بين بحارتها وبحارة الجزائر.

3-شركة "لنش" المركز التجاري الفرنسي بساحل القالة وعنابة.

اما بقية الدول الاوروبية مثل البرتغال والسويد وهولندا فقد سارعت الى اقامة علاقات دبلوماسية مع الجزائر لتأمين سفنها التجارية العابرة للبحر المتوسط.

-التحالف الغربي ضد الجزائر

وفي اوائل القرن التاسع عشر بدأت الدول الاوروبية و الولايات المتحدة الامريكية تكف عن دفع الاتاوات للجزائر، كما اصبحت النوايا الاستعمارية الاوروبية تتجلى في الافق ضدها، خاصة بعدما حققت تفوقا عسكريا واضحا على الجزائر لهذا التطور، وبذلك اختل ميزان القوى لصالح اوروبا على حساب الجزائر، حيث تحالف الاوروبيين ضد الجزائر في مؤتمر فيينا الذي انعقد في 9 جوان 1815 بطلب من انجلترا وذلك لوضع حد نهائي لاعمال القرصنة البحرية في البحر الابيض المتوسط واسترقاق المسيحيين ، وكلفت بريطانيا بتطبيق مقررات المؤتمر ، فتوجه الانجليزي اللورد اكسماوث عام 1816 على متن اسطول بحري الى الجزائر ولما اقترب من سواحلها وضع الداي القنصل البريطاني في السجن ، ولكن البحرية الجزائرية انخدعت بالراية البيضاء التي كانت تحملها السفن الحربية البريطانية فتركتها تدخل للميناء الجزائري ، فقنبلت بالمدفعية الاسطول البحري الجزائري والحقت به اضرارا جسيمة مما اجبر الداي عمر باشا على قبول شروط مؤتمر فيينا.

والجدير بالذكر ان حملة اكسماوث كان ظاهرها تنفيذ لارادة الدول الاوروبية وباطنها رغبة بريطانيا في فرض سيطرتها على البحار للاستحواذ على طرق المواصلات والحفاظ على مصالحها التجارية ،بعد ان فقدت مستعمراتها في القارة الامريكية.

وفي 30سبتمبر 1818 عقد الاوروبيون للمرة الثانية مؤتمر ضد الجزائر باسم مؤتمر " ايكس لاشابيل" قرروا فيه مطالبة كل من الجزائروتونس و ليبيا بوضع حد للقرصنة

واعتبروا اي مساس بالبواخر التجارية لاحد من هذه الدول المتحالفة سيؤدي الى رد فعل سريع .

وفي 5 سبتمبر 1819 قدمت قطعة بحرية انجليزية فرنسية تحت قيادة الاميرالين " فريمونتل " و " جوليان " الى الجزائر، ليبلغا الداي حسين بقرارات المؤتمر ، لكنه رفض استقبالهما وجمع القناصل الأوروبيين وحملها الى اوروبا رسائل يقول فيها " الجزائر حرة في تسيير شؤونها كيف تشاء ، وهي ليست مستعدة لتطبيق الاوامر التي تاتي من الخارج "، وعندما راي المشاركون في مؤتمر " ايكس لاشابيل " تعنت الداي حسين قرر ان تنظم حملة عسكرية نشارك فيها معظم الدول الاوروبية لتأديب الجزائر.

بعدها دخلت الجزائر في مرحلة الضعف وانحطاط وخاصة بعد تحطيم اسطولها في معركة نافرين يوم 20 اكتوبر 1827 ، فقدت هي و الامبراطورية قوتها و هيبتها ، فتكالبت عليها الدول الاوروبية وكانت نهاية الوجود التركي في الجزائر على يد فرنسا عام 1830 في عهد الداي حسين بعد ثلاثة قرون من وجودها.

2- الأوضاع العسكرية

واجهت الجزائر تهديدات خارجية كبيرة ، خاصة من جانب اسبانيا والدول الايطالية وفرسان مالطة ، مما جعلها تهتم باسطولها الحربي تدفع بع الغارات المسيحية عن مدنها و سواحلها ، وتحمي التجارة الإسلامية و المهاجرين الاندلسيين ، وحجاج بيت الله الحرام من اعتداءات القراصنة الاوروبيين ، وتدعم به الدولة العثمانية في حروبها ، وتغنم من خصومها ، ويجدر بالذكر ان الدوافع الروحية التي كانت وراء الجهاد البحري للاسطول الجزائري ضعفت بالتدريج ،ليصبح الربح هو مبداه الاساسي.

وقد كانت النواة الاولى لأسطول الجزائر تلك السفن التي اتى بها الاخوان خير الدين وعروج لانجاد اخوانهم المسلمين في بجاية والجزائر ، وعددها اربعة عشر وحدة .تمركز

الاسطول في مدينة الجزائر التي حصن ميناؤها ودعم بالمدافع ، ليصبح قاعدة بحرية هامة في بناء المراكب الجديدة واصلاح القديمة والمعطوبة بتجهيزها . كما اصبحت موانئ المدن الساحلية الاخرى كشرشال ودلس وبجاية و جيجل و عنابة و تنس و قواعد اخرى للاسطول، وكان الخشب يجلب من غابات شرشال و جرجرة و بجاية وجيجل و القل ، كما انشئت مصانع لصناعة المدافع و البارود و الذخيرة و قطع الغيار .

بلغ الاسطول الجزائر اوج قوته في منتصف القرن 17 مكنته من صد وافضال جل الحملات العسكرية على الجزائر كالحملات الاسبانية و الفرنسية والهولندية وغيرها ، كما كان الاسطول درعا واقيا لسواحل شمال افريقيا ضد القراصنة والعدوان الاوروبي ، وقد تعاظم دور الاسطول الجزائري في حماية التجارة الدولية من القراصنة المتربصين عبر البحر.

لكن دور البحرية ونشاط الاسطول بدأ يتضاءل مع مطلع القرن 19 الى ان اضمحل نهائيا سنة 1830، ويعود انهيار الاسطول الى العوامل التالية:

-اتفاق الدول الاوروبية على ضرورة التصدي للجزائر وتقليص دورها.

-تقييد الجزائر بمعاهدات شراء سلامة تجارات الدول الاوروبية مقابل بعض الهدايا والغرامات ، مما قل من نشاطات الاسطول الجزائري فتقلص عدد قطعه من حوالي 100 قطعة عام 1588 الى 14 قطعة رئيسية سنة 1825.

-الغارات المسيحية المتكررة على مدينة الجزائر، ومن اخطرها هجوم الاسطول الانجليزي الهولندي المؤلف من 39 بارجة بقيادة اللورد الاميرال اكسماوث في 27 اوت 1816 ، وتمكن من تخريب قسم من اسوار مدينة الجزائر ومبانيها وميناءها ،وتدمير معظم اسطولها

-اشتراكه في حروب الدولة العثمانية ، واخرها معركة نافرين 1827 اثناء حرب اليونان التي دمر فيها ما تبقى من الاسطول .

-تخلف صناعة السفن الجزائرية ومهارة الاسطول قياسا الى التقدم الصناعي الهام الذي احرزته مثيلاتها في دول الغرب ، والمهارة الفنية التي اكتسبتها الاساطيل الاوروبية .
وعلى صعيد آخر ارتكبت الجزائر خطأ فادحا يتمثل في تخليها عن الصناعة البحرية (كانت تصنع بواخرها الحربية بنفسها) نظرا لانشغال التقنيين والمهندسين والفنيين في الحرب، وكذلك بسبب تنازلها عن غابات الكرستا الموجودة في بجاية لفائدة التجار اليهود وفيمقدمتهم بكري و بوشناق ، حيث اقدم هذان الرجلان على بيع اخشاب الغابات الى انجلترا التي اهتمت بصناعها الحربية وكرست كل جهودها لتطويرها ، وعليه فالجزائر توقفت عن الصناعة البحرية وبريطانيا ضاعفت المجهود فتقلص عدد قطعه من حوالي 100 قطعة عام 1588 إلى 14 قطعة رئيسية سنة 1825 .

3- الأوضاع الاقتصادية

ان عدم الامان و الاستقرار السياسي و انتشار حركات التمرد والاضطرابات كانت له انعكاسات سلبية على المجال الاقتصادي ، حيث توقف الزرع والحرث ، وحدثت مجاعات من جراء كثرة الفتن و الاهوال واهتزاز المجتمع . كما اغلقت الاسواق خوفا من قطاع الطرق نتيجة حالة اللاأمن التي كان يعيشها الاهالي في أواخر فترة الدايات.،اضافة الى ظاهرة الجفاف التي استمرت سنوات خاصة بشرق البلاد وارتفاع الاسعار و غلاء المعيشة.

يجدر بالذكر ان الاهتمام الكبير للعثمانيين بالجوانب العسكرية و السياسية انعكس سلبا على الجانب الاقتصادي ، حيث لم يكن للعثمانيين سياسة اقتصادية واضحة المعالم من شانها ان تنهض بالبلاد ، ويتجلى ذلك من خلال عدم اهتمام الحكام الاتراك بتطوير البنية التحتية لايالة الجزائر ، فمثلا بالرغم من اهتمام العثمانيين بالبحر لا نجد لها اثرا في انشاء الموانئ الصالحة للتجارة ، حيث كان الاهتمام بالموانئ الجزائرية بقصد ايجاد مرسى امن لسفن القرصنة وليس بقصد التجارة ، كما لم تتدخل الدولة لتحسين وسائل

الزراعة ، ولم تسهم في الوقاية من الاضرار الطبيعة ، او الآفات الزراعية التي كانت تتعرض لها البلاد بصورة مستمرة

وقدر محتوى الخزينة في الفترة التي سبقت عهد الداي حسين (1817م) بخمسين مليون دولار اسباني وهو مبلغ ضخم لأن الدولار الاسباني كان يساوي في تلك الفترة 3.4 فرنك فرنسي ، وتم تحويل هذه الخزينة بما فيها إلى مقر السلطة الجديدة.

4- الأوضاع الاجتماعية

عرفت الجزائر انتشار الاوبئة خاصة في الفترة التي بلغ فيها الطاعون درجة خطيرة وهي الفترة الممتدة من جوان 1817 الى سبتمبر 1818، هذا الوباء الذي لم تبتلى به منذ عشرين سنة، واستمر في الفتك بحياة الناس، ففي شهري أوت وسبتمبر 1817 كان يؤدي بحياة مائتين شخص يوميا من مدينة الجزائر.بالاضافة الى والزلزال التي ضربت كثيرا من المدن الجزائرية (مدينة الجزائر والمدية عام 1632، زلزال الجزائر العاصمة 1665، شرشال ، بجاية والجزائر العاصمة عام 1716، ثم زلزال 1723 و 1724و1755 و 1760والتي خربت البليدة ، وزلزال وهران عام 1790) فتسببت في الكثير من الخسائر البشرية و المادية وهلاك الكثير من الارواح والممتلكات.

-دور فئة اليهود في الجزائر

رغم وجود عدة فئات اجنبية مسيحية في الجزائر، الا ان الجماعة النشيطة التي ارتفع شانها في هذا البلد هي فئة اليهود ، لانهم كانوا يتعاملون مع الداي و قادة الجيش (الرياس) ويقومون بشراء وبيع البضائع او الغنائم التي يحصل عليها الرياس ، كما اشتهر اليهود بعمليات السمسرة والقيام بدور الوساطة في كل العمليات التجارية الى درجة انه

اصبح من الصعب على اي عربي ان يبيع دجاجتين بدون وساطة مأجورة من احد اليهود.

وفي بداية القرن التاسع عشر تجلى في الجزائر نفوذ بوشناق وبكري ، إذ كانا يقومان لوحدهما بدور البنوك في الجزائر ، ويحتكران الاسواق التجارية الجزائرية وخاصة في ميدان تصدير الحبوب فامتد نفوذهما حتى في بلاط الحكم ، فأصبحت لهما قوة تأثير في القرارات السياسية و الاقتصادية وكانا سببا مباشرا في احتلال فرنسا للجزائر عام 1830، ولسبب نفوذهم الكبير وسوء تصرفهما قام احد الجنود الاتراك عام 1805 بقتل اليهودي بوشناق وهو خارج من قصر الداي بالجنينة ، اما صديقة بكري فقال بأمر من الديوان عام 1811.

وشهدت هذه الفترة تناقصا في عدد الأتراك يوميا وهذا بسبب الإعدام والطرد وغير ذلك فمنهم من عاد إلى وطنه تلقائيا ، كما أن الداي علي خوجة وضع خطة تقضي على الانكشارية نهائيا من المدينة وعمل على اخذ أطفال اليهود من ذويهم وإرغامهم على اعتناق الإسلام والقيام بالحراسة في القصبة، وإرسال البنات إلى خدمة حريمه، وقد أثار هذا اشمئزاز جميع المسلمين لأن دينهم لا يرضى بأعمال من هذا النوع.

الخلاصة:

عرفت الجزائر في الفترة الاخيرة من العهد العثماني بين 1800-1830 تحولا خطيرا شمل كل المجالات ، فرغم المحاولات التي قام بها بعض الدايات لإصلاح احوال الجزائر ، الا ان نتائجها كانت محدودة جاءت في وقت متأخر تفاقمت فيه الاوضاع الداخلية و تعددت الغارات الخارجية.

المحاضرة الثانية: أسباب الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830.

تمهيد

بدات الحكومة الفرنسية في تجسيد نواياها المبيتة ضد الجزائر منذ القرن الثامن عشر بالاستعداد والتحضير، لكن اسباب و دوافع الاحتلال الحقيقية كانت كثيرة وعميقة .

1-حادثة المروحة

ظاهريا تعتبر حادثة المروحة بين الداي حسين والقنصل الفرنسي بالجزائر دوفال يوم 29 أفريل 1827 السبب المباشر الذي ادى بفرنسا لاحتلال الجزائر بهدف تأديب الداي ، لكن اذا تعمقنا في الاحداث التاريخية التي سبقت الاحتلال لوجدنا ان فرنسا كانت تخطط لاحتلال الجزائر والاستيلاء عليها منذ قرون عديدة.وهي الحقيقة التي صرح بها بعض المؤرخين الفرنسين امثال شارل روبير اجرون الذي قال :" ان الفكرة التي اثيرت دوما طيلة القرون العديد و الرامية الى غزو الجزائر قد تجددت سنة 1827" ويؤكد على قوله المؤرخالفرنسي اوغستين برنار في كتابه " الجزائر" " ان احتلال الجزائر هو ثمرة قرون من جهود متواصلة باستمرارية جديرة بالتقدير."

وآخر النوايا العدوانية لفرنسا في غزو الجزائر كانت في عهد شارل العاشر الذي حقق حلم من سبقوه في حكم فرنسا ونفذ الخطة التي وضعها بوتان في عهد نابليون بونبارت، حيث كانت له نية مبيتة وخطة مدبرة بتنفيذ محكم قام على ثلاثة عناصر متوازية وهي :عزم مستمر واعداد متواصل واستفزاز الداي حسين، ، فاخذ يبحث عن سبب اعلان حرب ، فامر القنصل العام في الجزائر دوفال بان يستفز الداي بطريقة ما حتى يقوم بتصرف تتخذه فرنسا ذريعة لإعلان الحرب على الجزائر. وعليه جاء دوفال عشية عيد الفطر في 29 افريل1827 ، ليؤدي زيارته للداي بحضور قناصل الدول الاوروبية ، فسأل الداي القنصل الفرنسي عن عدم إجابة الحكومة الفرنسية عن برقياته العديدة

بخصوص الديون ، فكان رد القنصل وقحا قائلا : " ان حكومتي لا تتنزل لاجابة رجل مثلكم "، وتمادى القنصل في استفزازه وسوء ادبه.

2-خلفيات الاحتلال :(الاسباب غير المباشرة)

1-الخلفيات السياسية

تأزمت الاوضاع السياسية الداخلية في فرنسا بعد تولي شارل العاشر الحكم في سنة 1824 ، حيث بدا الصراع الداخلي بين الاسرة الملكية التي صممت على معاقبة الافراد الذين تعاملوا مع الحكم الثوري الذي وضع حدا لامتيازاتها وبين المعارضة من الجيل الثوري الجديد التي خلقت مصاعب داخلية للملك الفرنسي، وهكذا وجد شارل العاشر نفسه وجها لوجه مع اعضاء البرلمان الجديد الثائرين على الاسرة الملكية ، وراى ان الحل الوحيد للتغلب على الازمة هو ترضية ثلاثة اطراف :

أولا: رجال الجيش بتشجيعهم على تحقيق انتصار عسكري يعيد لهم الثقة و الهيبة الاجتماعية التي فقدوها بعد انهزامهم في اوروبا عام 1815،

ثانيا: التجار: بخلق تحالف مع التجار الذين جردتهم الثورة من مكانتهم الاجتماعية المرموقة بين المجتمع والامبراطورية قضت على ارباحهم الهائلة غداة انهزام نابليون واعادة السيطرة البريكانية على التجارة في العالم ،

ثالثا: المعارضة: باسكاتها من خلال احراز انتصار باهر على داي الجزائر . وتحقيق انتصار سياسي على المعارضة الليبرالية .

وسعت حكومة شارل العاشر الى الهاء الراي الفرنسي عن مشاكل فرنسا الداخلية بقضية خارجية ، كما شجعت الدول الكبرى مثل بريطانيا والنمسا شارل العاشر على القيام بغارة على الجزائر ، بحيث يحافظ على عرشه ويبقى في الحكم لمدة أطول ،نظرا لان مصالح

هذه الدول كانت في ابعاد فرنسا مناوروبا وتشجعيها على الاهتمام بمناطق اخرى غير اوروبا .

كان شارل العاشر يرغب في ايجاد تعاون وثيق مع روسيا في حوض البحر الابيض المتوسط حتى يتغلب على الهيمنة البريطانية في هذا البحر، والتمركز في ميناء الجزائر الذي كان يعتبر في نظر الملك تابعا للإمبراطورية العثمانية.

وتطلعت فرنسا الى تعويض عما فقدته من مستعمرات ومراكز في امريكا الشمالية والهند وغرب افريقيا (السنغال) عقب حرب السنوات السبع (1763-1756) ضد بريطانيا ، وكذلك بعض الاراضي في أُوروبا بعد حروب نابليون

2-الخلفيات العسكرية

إن انهزام الجيش الفرنسي في اوروبا وفشله في احتلال مصر والانسحاب منها تحت ضربات القوات الانجليزية في سنة 1801 ، وانهزامه مرة اخرى مع نابليون في معركة واترلو 1815 وتحالف الدول الكبرى ضد الجيش الفرنسي في اوروبا ، جعل الملك شارل العاشر يفكر في اشغال الجيش بمسائل حيوية والمتمثلة في التوسع الافريقي بالاحتلال الجزائر ، وبالتالي يتخلص من امكانية قيام الجيش بانقلاب ضده في فرنسا ، وبالفعل فان الجيش الفرنسي قد انشغل باحتلال الجزائر واقام سلطة عسكرية متينة .

3-الخلفيات الاقتصادية

لعبت الجوانب الاقتصادية دورا قويا في اقدام فرنسا على احتلال الجزائر ، ويظهر هذا بوضوح في الدراسة التي نشرها السيد تاليران في شهر جويلية 1797 والتي عنوانها " محاولة حول الامتيازات التي يمكن الحصول عليها من جراء انشاء مستعمرات جديدة في

الظروف الحالية " وعليه يمكن ان نلخص خلفيات فرنسا الاقتصادية في احتلالها لجزائر فيما يلي:

-اعتقاد فرنسا انها ستحصل على غنيمة تقدر بـ 150 مليون فرنك توجد بخزينة الداي.

- تطلع فرنسا الى ثروات الجزائر الزراعية و المعدنية و اسواقها التجارية ، خاصة بعد انطلاق ثورتها الصناعية عام 1825 ، وهي الحقيقة التي اقر بها وزير الحرب الفرنسي "كليرمونتونير " في تقريره الذي ارسله الى شارل العاشر في سبتمبر 1827 .

ويذكر ان فرنسا منذ بدأ علاقاتها الدبلوماسية مع الجزائر وهي تستفيد من خيرات البلاد الاقتصادية ، حيث نجحت فيما مضى بفضل علاقتها الودية مع الدولة العثمانية في تاسيس اول شركة فرنسية للاستثمار المرجان " شركة لانش " في عام 1561، شريطة عدم تسليح المركز بالسواحل . كما انشات فرنسا مؤسسات تجارية لها بالجزائر وتطلع بعض مواطنيها من تجار مدينة مرسيليا الى اقامة مراكز لهم على ساحل الجزائر لصيد ولتموين مراكبهم التجارية.

-التخلص من تسديد ديونها المتبقية للجزائر ، وتتخلص من قضية الديون في العلاقة المشبوهة التي كانت تربط اليهوديين بكري و بوشناق بالقنصل دوفال ، فكان اليهوديان يقومان بتسديد ما اشترته فرنسا من الحكومة الجزائرية نيابة عنها ، بعدما كانت فرنسا من قبل تشتري ما تحتاجه مباشرة من موانئ الجزائر ، وعندما طالب الداي حسين بثمن القمح اتفق دوفال مع التاجرين اليهوديين على توقيف الدين.

وبناءً على ذلك فإن مسؤولية تعقيد الديون وتمثيل مشهد حادثة المروحة تقع على القنصل الفرنسي دوفال وعلى اليهوديين.

4-الخلفيات الدينية

-ان الصراع الذي كان قائما بين الدول المسيحية الاوروبية والدولة العثمانية الاسلامية قد انعكس على الجزائر ، خاصة بعد التعاون بين الدولتين لحماية المسلمين والدفاع عن الاسلام ، الامر الذي دفع بالدول المسيحية في اوروبا ان تتعاون فيما بينها لضرب المسلمين في الجزائر وفي اسطنبول ، وقد تجسدت النزعة الصليبية والتضامن المسيحي ضد الجزائر والخلافة العثمانية وولايتها الاسلامية ، في مؤتمري "فيينا" و "اكس لاشيبل" اين اجتمعت فيهما الدول المسيحية وقررت القضاء على دار الجهاد (الجزائر) ، مدعية ان الجزائر تلجأ الى محاربة المسيحيين في كل مكان .

-احياء المسيحية في افريقيا بتنصير الجزائر، وهي الحقيقة التي اثبتها تصريحات وتقارير قادة السياسيين والدينيين عشية الغزو ، ومن ذلك ما قاله وزير الحرب "كليرمونتونير" في تقرير الحكومة يوم 14 اكتوبر 1827 " يمكننا في المستقبل ان نكون في المستقبل سعداء ونحن نمدن الجزائريين ، ان نجعلهم مسيحيين ، لنحقق بذلك نصرا يبدو ان العناية الالهية تعده لنا " كما نجد في هذا السياق تصريخ الملك شارل العاشر يوم 2 مارس 1830 بقوله "..... ان العمل الذي سأقوم به ترضية للشرف الفرنسي ، سيكون بمساعدة العلي القدير لفائدة المسيحية كلها "' وغيرها من التصريحات التي تؤكد الخلفية الدينية لاحتلال فرنسا للجزائر.

5-الخلفيات الاجتماعية

-تزايد اعداد سكان فرنسا بفضل تحسن ظروف الصحة والحياة ، اذا بلغوا 33 مليونا سنة 1830، والبحث عن مجال لإسكان بعضهم.

2-أسباب أخرى

كتبت جريدة مونيتور الفرنسية تبرر اقدام فرنسا على احتلال الجزائر ، وتذكر ان فرنسا قد اقدمت على ضرب الحصار على الجزائر نظرا لاسباب التالية:

1-ان الداي حسين قد سمح لصيادي المرجان من كل الاجناس بالصيد على الساحل الجزائري، وبذلك انهاء الاحتكار الفرنسي لهذا النشاط سنة 1826، وذلك مساس بكرامة فرنسا.

2-ان الداي حسين قد اقدم على تفتيش المؤسسات التجارية العاملة في الشرق الجزائري.

3-ان الداي حسين اجاب بالرفض للوفد الذي ذهب اليه باسم مؤتمر "اكس لاشبيل".

4-ان الداي حسين لم يعاقب الذين هاجموا السفينة الفرنسية.

5-ان الداي حسين قد فتح التجارة حرة امام اوروبا بأكملها.

6- ان الداي حسين منع المؤسسات الفرنسية في القالة من ان تقيم المدافع على الحصن لحماية نفسها من هجومات الجزائريين.

7-ان الداي حسين قد وجه برقية شديدة اللهجة فيها احتجاجا على الحكومة الفرنسية التي لم تسدد الديون المترتبة عليها.

8-اهانة شرف فرنسا بضرب الداي القنصل الفرنسي بمروحته ورفض الاعتذار له.

وبناء على ما تقدم من خلال استعراضنا للمشاريع الفرنسية لاحتلال الجزائر والخلفيات السياسية والاقتصادية والعسكرية لغزو هذا البلد نستشف ان حادثة المروحة ماهي الا ذريعة افتعلتها فرنسا لتبرر احتلالها للجزائر، وخير دليل على ذلك ما صرح به رجل الدولة النمساوي ميترنيخ قائلا:" لا يلقى هكذا بمئات الملايين ، ولا يرسل هكذا مثل هذا الجيش العرمرم عبر البحر ، من اجل ضربة بمروحة ".

المحاضرة الثالثة: مراحل الغزو الفرنسي للجزائر سنة 1830.

تمهيد

بعدما ايقنت فرنسا بان غزو الجزائر بات امرا ضروريا، اصبحت تبحث عن المبررات لإتمامخطتها ،فأوجدت قضية المروحة كذريعة لاحتلال الجزائر، بعدما توترت العلاقات بسبب الديون وهو التوتر الذي انتهى بالحصار الفرنسي البحري للجزائر 1827 ثم بالاحتلال سنة 1830.

1-مرحلة الحصار البحري الفرنسي للسواحل الجزائرية1827-1830

وصل خبر حادثة المروحة الى فرنسا التي ارسلت قطعة من اسطولها امام الجزائر بقيادة القطبان كولي ، ووصلت يوم 12 جوان 1827، وصعد القنصل دوفال سفينة القبطان . جاء كولي يطلب من الداي حسين ان يأتي شخصيا الى السفينة ويعتذر للقنصل ، ولما رفض الداي ذلك ،اشتملت تعليمات كولي على اقتراحات اخرى هي:

-ان يستقبل الباشا القبطان ورئيس اركانه والقنصل بمحضر الديوان والقناصل الاجانب ويعتذر امامهم الى دوفال.

-ان يرسل بعثة رئاسة وكيل الحرج (وزير البحرية) الى قطعة الاسطول الفرنسي ليعتذر باسم الباشا الى القنصل.

- ان يرفع العلم الفرنسي على جميع القلاع الجزائرية، بما في ذلك القصبة وتطلق مائة طلقة مدفع تحيه له.

وكانت تعليمات كولي تقتضي انه في حالة قبول الباشا أحد الحلول الثلاثة يتقدم اليه بعد ذلك بمطالب فرنسية تتضمن:

-دفع التعويضات .

-معاقبة الجزائريين المسؤولين عن الاضرار بالمنشآت الفرنسية.

-تسليح هذه المنشآت في المستقبل .

-اعلان الجزائر انه لا حق لها في دين بكري.

-في حالة عدم استجابة الداي لواحد من هذه الاقتراحات المذكورة يعلن الحصار رسميا على الجزائر.

ارسل "كولي" في 15 جوان 1827 عن طريق قنصل سردينيا في الجزائر الكونت "داتيلي" الذي اصبح يرعى المصالح الفرنسية بعد انسحاب دوفال انذارا للداي حسين، واعطاه اجل قبول هذه الاقتراحات اربعة وعشرين ساعة فقط (24ساعة)، وكان رد فعل الداي انه لا يفهم انه بدلا من ان تعين فرنسا قنصلا جديدا وتكتب اليه مباشرة لجات الى ارسال انذار مضحك معه ضابط بحرية.

وعندما انقضى اجل الانذار بدون رد اعلنت فرنسا الحرب على الجزائر في 16جوان 1827 بغرض تحقيق عدة اهداف نوجزها فيما يلي:

1-قطع التموين عن الجزائر، لإضعاف قوتها الاقتصادية المعتمدة على النشاط البحري.

2-اغلاق الباب امام اي تدخل محتمل من طرف الدولة العثمانية او الدول الاوروبية المنافسة لها.

3- اعطاء الوقت الكامل لمساعيها الدبلوماسية لإقناع الدول الاوروبية بجدوى احتلال الجزائر ان ذلك في صالح اوروبا والمسيحية عموما.

وكرد فعل على هذا الحصار امر داي الجزائر باي قسنطينة بالاستيلاء على المنشآت الفرنسية الواقعة في اقليمه.

والجديربالذكر ان البحارة الجزائريين عملوا على فك الحصار، فقاموا بمحاولات عديدة منها 4اكتوبر 1827، اين تمكنت 11قطعة بحرية تحمل متطوعين من الخروج من ميناء الجزائر، فخرجت خمس قطع فرنسية من خط الدفاع لتواجهها، وجرت معركة واشتباكات عنيفة بين الطرفين دامت ساعتين ، لتنتهي بانسحاب الجزائريين وعودة القطع الرئيسية الى خط دفاعها.

ومن جهةاخرى في شهر اوت من عام 1827 استولى الرياس الجزائريون على سفينتين فرنسيتين في مياه وهران واسروا بحارتهما، لكن الفرنسيين تمكنوا يوم 25 اكتوبر من نفس السنة من اغراق اربع سفن غرب مدينة الجزائر. وفي 22 ماي 1828 اغار الفرنسيون على ميناء وهران وتمكنوا من استرجاع احدى سفينتيهم اللتين وقعتا بيد الجزائريين.

وبعد هذه الاصطدامات رابطت حوالي12 قطعة بحريةقبالة الموانئ الجزائرية وشكلت دورية بحريةمن 6 قطع اخرى، وكلفت قطع اخرى بمراقبة الملاحة وتوفير الامن لها ، ووضعت قطع اخرى في حالة استنفار دائم ، وهكذا اصبح عدد القطع البحرية المكلفة بالحصار حوالي خمسين قطعة.

2-إعداد الحملة العسكرية على الجزائر

والحصار مستمرعلى الجزائر، فتحت فرنسا باب المفاوضات مع الجزائر بهدف الغاء الحصار بطريقة مشرفة ، فبعثت عدة وفود لاستئناف المفاوضات، منها البعثة التي ذهبت الى الجزائر بقيادة الضابط بيزار في 29افريل 1828، ولكنها فشلت. وتلت ذلك بعثة اخرى بقيادة نفس الضابط التي فشلت ايضا. وفي جويلية 1829 وصل مبعوث خاص من شارل العاشر ملك فرنسا للمفاوضات مرة اخرى مع الداي حسين،وكانت شروطه(رد الاعتبار للشرف الفرنسي المهان، اطلاق سراح الاسرى الفرنسيين، انهاء فرض الاتاوة، انهاء القرصنة.) ولكن الداي رفضها حسين قائلا "لدي بارود ومدافع".

وخلال مدة الحصار البحري على مدينة الجزائر ، ضعفت القوات الفرنسية ونفذت ذخيرتهاوانقرض معظم جيش الضابط كولي ، وتكسرت اكثر المراكب وكانت الخسائر اكثر من عشرين مليون فرنك ، وبالمقابل الجزائر لم يلحقها ضرر كبير.

ان تكاليف الحصار الباهضة ، جعلت فرنسا ترى عدم نفع حصارها البحري على الجزائر،وتخطط لتنتقل الى الخطوة الثانية المتمثلة في تحويل الحصار الى حملة.ومنبين

الذين كانوا متحمسين للمشروع نجد المركيز"كليمون طونير" وزير الحربية الذي قدم تقريرا الى الملك يوم 14 اكتوبر 1827، يتضمن مشروعا مفصلا لعملية غزو مدينة الجزائر

وبعد ثلاث سنوات من الحصار وفشله، و تصاعد قوة المعارضة الليبرالية لنظام شارل العاشر ، قرر مجلس الوزراء الفرنسي يوم 31جانفي 1830 تنظيم حملة على مدينة الجزائر

3-الاستعداد الفرنسي للحملة على الجزائر

1-تحضير الحملة بشريا

تم تعيين كل من "دوبري" قائدا للقوات البحرية والبارون "ديني" معتمدا عسكريا ، وكلف الجنرال "فالازي" بالهندسة ، وكان على هؤلاء ان يشرفوا على عمليات التحضير. وعين "بيرتزين" على راس الفرقة الاولى التي عسكرت بين طولون ودراغينيون ، وعين "لوفيردو" على رأس الفرقة الثانية التي عسكرت بين طولون وايكس ، ووضع الدوق "كارس" على راس الفرقة الثالثة التي عسكرت في ايكس، علما ان مجموع جنود الفرق الثلاث كان اكثر من 25 الف رجل ، اما الخيالة فحوالي 500 فارس، عسكروا في تارسكون ، بينما عسكرت الهندسة التي كانت تتكون من85 الف رجل في ضواحي ارل، واحتلت المدفعية التي بلغ عدد رجالها 25 الف ابواب طولون ،واخيرا عينوزير الحربية نفسه الكونت "دوبرومون"على راس الحملة ، وكان تحت امرته 17 ضابط برتبة جنرال. ومن جهة أخرى ضمت الحملة بالإضافة الى العسكريين هيئة من مترجيمن بلغ عدد افرادها حوالي 40 مترجما، منهم " جورج كاروي" و " ليون اياس " كما رافق الحملة رسامون.

2-تحضير الحملة ماديا

تجمعت 100 بارجة و 500سفينة تجارية في مرسيليا وطولون ، كما جمعت كمية ضخمة من الملابس ومن الخيام والاغطية واغذية والاعلاف و العربات وادوات شق الطرق وكمية من الخراطيش (5ملايين خرطوشة) واكثر من 280 الف كغ من البارود وعتاد التلغراف ، وحملت الحملة معها كذلك مطبعة.. الخ .

3-تهيئة الراي العام الداخلي والدولي:

تحصلت فرنسا على موافقة اسبانيا لاستعمال موانئها واقامة مستشفى في ماهونبالبليار ، كما نجحت في ضمان حياد حسين باي تونس منذ 1828، بل سمح هذا الباي بتسهيل تموين الحملة ان اقتضت الضرورة. ومنجهته التزم يوسف باشا طرابلس بالعمل على شل قوات محمد علي ان جاءت من مصر . اما المغرب الاقصى فقد سمح سلطانه مولاي عبد الرحمان للفرنسيين بالتزود من موانئه في حالة الضرورة كذلك .

ولم تلق فرنسا رفضا بصراحة سوى من انجلترا التي كانت تنظر الى الحملة بعين الريبة والشك، الى درجة انها طالبت بتوضيحات خاصة بالحملة ، غير ان وزير البحرية الفرنسية لم يرفض تقديم التوضيحات فحسب بل رد على السفير الانجليزي متحدياياه " امنعونا ان اردتم او بالأخرى ان استطعتم".

4-استعدادت الجزائر لمواجهة الحملة الفرنسية

اقدم الداي حسين على تخصيص مرتبات لعدد من الجواسيس في كل من ايطاليا و مرسيليا و طولون وباريس ، فنقلوا اليه خبر استعداد فرنسا لغزو الجزائر ، وانها اعدت اسطولا ضخما لإرساله ، وقد اكدت هذا الخبر سفينتان جزائريتان استطاعتا ان تتسللا

ليلا بين السفن الفرنسية المحاصرة، ونقلت اخبار مفادها ان الاسطول الفرنسي سيبلغ الشواطئ الجزائرية في شهر ماي لسنة 1830.

لهذا كان الداي حسين على علم بتفاصيل الحملة قبل وقوعها، الا انه اعتقد ان ذلك لن يتعدى الضرب من البحر مثل الغرات السابقة الفاشلة . لذلك لم يحصن سيدي فرج وكما يقول حمدان خوجة في كتابه "المرآة" في سيدي فرج لم تحضر المدفعية، ولم تحفر الخنادق ولم يكن هناك سوى 21 مدفعا وكان الاغا يحي قد نصبها في بداية اعلان الحرب ، ويضيف ايضا " وفي اليوم الذي نزل فيه المريشال"دوبورمون" مع جيشه لم يكن تحت تصرف الاغا سوى 300فارس ، ولم يكن مع باي قسنطينة الا عدد قليل جدا من الاجناد ، وكان باي التيطري في المدية ، ولم يصل منها الا بعد بضعة ايام من الانزال الفرنسي.

ومن جهة اخرى لم يكن ابراهيم آغا قادرا على مواجهة الفرنسيين. وعارض اقتراحات زملائه امثال الحاج احمد باي قسنطينة الذي رأى انه ليس من السياسة في شيء ان تجمع القوات الجزائرية في نقطة واحدة، وان من الواجب توزيعها بحيث يحمي جزء من غربي سيدي فرج، ومعنى ذلك ان الفرنسيين إذا لاحقوا الجيش، فانهم سيبتعدون عن هدفهم الذي هو مدينة الجزائر ، وسيكون ذلك لصالح الجزائر ، اذ يستطيع الجيش بدء بالهجوم . واذا قصد الفرنسيون مدينة الجزائر فسيكون ذلك فرصةلمهاجمتهم من الخلف والانتصار عليهم، كما اقترح باي قسنطينة ان يتولى كل قائد بجزء من الجيش، ويكون مقر القيادة مدينة الدار البيضاء ، فرفض ابراهيم آغا هذه الاقتراحات .

وأرسل الداي حسين ايضا الى باي وهران وقسنطينةيأمرهمابتحصين ميناء وهران وعنابة ، كما ارسل الى واستقدمباي قسنطينة الى العاصمة للدفاع عنها.

5-انطلاق الحملة من ميناء طولون الى سيدي فرج

غادرت الحملة بقيادة الجنرال "دي بورمون" ميناء طولون يوم 25 ماي 1830، ووصلت الى ميناء العاصمة في 14 جوان 1830 ونزلت بشبه جزيرة سيدي فرج واستولوا عليها، وانتصروا على قوات الداي في اسطوالي، وفي 4 جويلية سقط "برج مولاي الحسن" واضرمالاتراك النار في خزينة الذخيرة وفجروا الحصن ، لئلا يستخدمه الفرنسيون لقصف العاصمة.

وامام هذا الوضع جمع الداي حسين اعيان المدينة وطلب منهم النصيحة ، فتركوا له الراي .وفي ليلة 2جويلية 1830، قبلوا اقتراح الداي حسين الذي ينص على الاستسلام بعد توقيع المعاهدة ، مقتنعون ان فرنسا ستترك الجزائريين يتمتعون بدينهم وتقاليدهم وغيرها.

وفي 4 جويلية 1830 ارسل الداي كاتبه مصطفى مصحوبا بالقنصل الانجليزي واحمد بوضربة وحمدان خوجة كمترجمين الى مقر القيادة الفرنسية للتفاوض مع دي بورمون، وعرض عليه الصلح ، لكن هذا الاخير رفض الصلح واصر على استسلام الداي وتسليم المدينة ، وفرض عليه الشروط التالية:

-يسلم حصن القصبة وكل الحصون التابعة للجزائر الى الجيش الفرنسي صبيحة 5جويلية 1830 على الساعة العاشرة.

-يتعهد القائد العام للجيش الفرنسي بأنه يترك لسمو داي الجزائر حريته وكذلك جميع ثرواته الشخصية.

-الداي حر في الانسحاب مع اسرته وثرواته الخاصة الى المكان الذي يحدده ،وسيكون هو و كامل اسرته تحت حماية قائد الجيوش الفرنسية، وذلك طيلة بقاءه في الجزائر ، وستقوم فرقة من الحرس بالسهر على امنه وامن اسرته.

-يتمتع الجنود الاتراك التابعين للجيش الجزائري بالحقوق المقررة في الفقرات السابقة .

-ستبقى ممارسة الشعائر الدينة الاسلامية حرة، ولن يلحق اي مساس بحرية السكان من مختلف الطبقات، ولا بدينهم ، ولابأملاكهم ، ولا بتجارتهم و صناعتهم ، وستكون نساؤهم محل احترام ويتعهد القائد العام الفرنسي بذلك عهد شرف.

-سيتم تبادل هذه المعاهدة قبل الساعة العاشرة ، وسيدخل الجيوش الفرنسية عقب ذلك حالا الى القصبة ، ثم تدخل بالتتابع كل الحصون المدينة البحرية.

واضطر الداي الى قبول الشروط السابقة الذكر، ووقع على وثيقة الاستسلام يوم 5جويلية 1830.

وفي6جويلية 1830 ،دخل الفرنسيون مدينة الجزائر من باب الجديد بأعلى المدينة وأنزلت الاعلام من جميع القلاع والابراج وارتفعت في مكانها رايات الاحتلال الفرنسي ، واقيمت صلاة المسيحيين وخطب فيها قساوسة الحملة ، فقام قائد الحملة الفرنسية قائلا : " لقد فتحت بابا للمسيحية على شاطئ افريقيا ".

وفي10 جويلية1830 رحل الداي عن مدينة الجزائر وتوجه الى نابولي بإيطاليا ، ثم التحق بفرنسا ، واخيرا توجه الى الإسكندرية حيث اقام بها حتى وفاته ودفنه بها سنة 1834.

وهكذا " تحولت الحملة في غضون ايام الى احتلال ، وتحول تأديب الداي حسين باشا الى تأديب شعب وارض ، وتحول الانتقام من 'الترك المستبدين الغرباء' الى انتقام من صاحب الدار نفسه لأنه عربي ومسلم ولأنه رفع سلاح المقاومة في وجه الاحتلال ، واخيرا تحول المحررون الى غزاة نقلوا حربهم من مدينة الجزائر الى مختلف انحاء القطر شرقا و غربا وجنوبا "

المحاضرة الرابعة:ردود الفعل الوطنية والمقاومة بالمتيجة 1830-1837.

تمهيد

اعتقد القادة الفرنسيون بعد احتلال مدينة الجزائر في 5جويلية 1830 ، ان الجزائر فتحت لهم ابوابها ، واغتر الجنرال "دي بورومون" فكتب يقول لحكومته :" ان العرب ينظرون الينا كمحررين لهم ، وان الجزائر ستصبح مفتوحة كلها وتحت نفوذنا قبل مضي خمسة عشر يوما" ، ولكن الواقع كذب ذلك وأبان للفرنسيين ان التوسع خارج مدينة الجزائر أمسى امام المقاومة التي ابدها سكان المتيجة أولا وغيرهم .

وبمراجعة سجل كفاح الشعب الجزائري نلاحظ أن هذا الكفاح قد مر بمرحلتين:

-مرحلة المقاومة الوطنية المسلحة التي تتميز بالتنظيم والشمولية، وهي المرحلة الأولى التي تصدى فيها الجزائريون للاحتلال منذ جوان 1830 إلى غاية 1848.

-والمرحلة الثانية وهي مرحلة الانتفاضات والتي امتدت من 1848 إلى عام 1916 بقيام الحرب العالمية الأولى، وشملت أنحاء متعددة من أنحاء البلاد وقادها العديد من رؤساء القبائل ومشايخ الزوايا .

1- ردود الفعل الوطنية:

اظهر الجزائريون مقاومة مستميتة ضد التواجد الفرنسي بالجزائر وتجلي ذلك من خلال الاشتباكات الاولى بمدينة الجزائر والتي استمرت عشرين يوما بعد تسليم المدينة ، وقد شهد الجنرال "كلوزال" ذاته بحدتها قائلا :" لم تقتصر المقاومة عند الدفاع عن القصر، بل انهم قاوموا بضراوة في القصبة وعند باب عزون ، وتميزت المقاومة لأيام ثم انتقلت الى داخل القلعة بالعناد والتنظيم ، فكان المقاتلون يحتلون فورا مكان من يقتل ..."،وقد تواصلت المقاومة لأيام ثم انتقلت الى خارج مدينة الجزائر لتفرض حصارها على الجيش الفرنسي في المدينة بالاختناق ، مما جعل "دي برومون" يفكر في كسر هذا الحصار بكل السبل.

1-1-المقاومة السياسية

اتخذت المقاومة الجزائرية للاحتلال منذ البداية اتجاهين مختلفين ، المقاومة السياسية و المقاومة المسلحة. ويمكن ان نميز ثلاث تيارات اشتركت في المقاومة السياسية هي : اهل الحضر الطامحين في السلطة ،وانصار التيار العثماني ، والتيار الفرنسي، فإثر احتلال مدينة الجزائر وطرد الاتراك ، وجه الفرنسيون انظارهم الى فرز فئات اجتماعية يمكن اعتمادها في تسير ادارة الجزائر ، فأولوا فئة الحضر اهتماما خاصا باعتبارها الفئة الساخطة على العنصر التركي وعارفة بأوضاع البلاد ، فأسندت لبعضهم مناصب هامة فتولى منصب آغا العرب حمدان امين السكة واحمد بوضربة رئيسا لأول مجلس بلدي لمدينة الجزائر ، ولكن هذه الفئة سرعان ما اكتشفت نوايا الفرنسيين فنددت بمشاريعها الاستيطانية ونادت بفكرة الحكم المحلي للجزائر ، لكن الادارة الفرنسية تنكرت لها وعملت على عزلها ، وكانت تجربة حمدان خوجة في التصدي للسياسة الفرنسية والتشهير بها نموذجا مثمرا للمقاومة السياسية والفكرية المبكرة .

لم تتوقف المقاومة عند هؤلاء فقط، بل حاول المفتي محمد بن العنابي تزعم المقاومة لكن الادارة الفرنسية سارعت الى نفيه، وخاض في منفاه نشاطا حثيثا للدعوة الى نصرة الجزائر ونشر عدة كتب ورسائل بالمشرق العربي تدعو الى استرجاع السيادة العثمانية الاسلامية.

ومن بين انصار الإدارة الفرنسية الذين اجتهدوا في الحفاظ على مصالحهم ومصالح الجزائريين نذكر "حمدان بوركايب" الذي عين آغا العرب ثم نفي لفرنسا، ومصطفى بن الحاج عمر الذي تولى بايلكالتيطري.

تجندت التيارات الثلاثة لمقاومة السياسة الفرنسية بكلالوسائل الممكنة ، فكانت تطالب بحقوق الجزائريين واشراكهم في ادارة الجزائر، ولكن الادارة الفرنسية التي استغلتهم في

مرحلة بداية الاحتلال ما لبثت ان تنكرت لهم ، فقام الجنرال كلوزال (1835-1837) باضطهادهم والتخلص منهم.

2-1-المقاومة المسلحة بالمتيجة

اختار انصار المقاومة المسلحة نهج الجهاد المسلح وكان يقودهم زعماء القبائل والاعيان ورجال الدين، وجندوا سكان مدينة الجزائر والمتيجة لحصار الجيش الفرنسي في حدود المدينة وعدم السماح له بتجاوزها، ثم بدأوا يخططون لشن الهجمات ضد الفرنسيين ،وقد كانت مقاومتهم مشتتة ثم تحالفوا على ايدي الزعمات الدينية والقبلية وقرروا التصدي للفرنسيين ، وشهدت منطقة المتيجة العديد من الزعامات نذكرها كالاتي :

1-الحاج محمد بن وعموم

خطط لمنع تقدم الجيش الفرنسي نجو البليدة وقد هاجم قوات دي بورمون، واقتحم في نوفمبر 1830 المدينة وأباد الحامية الفرنسية المرابطة بها ،وانضمت له كثير من أفراد قبائل المتيجة ومنهم الحاج علي السعدي ، وتمكن في صيف 1831 من مهاجمة المراكز الامامية للفرنسيين بوداي الحراش

2-الشيخ الحاج علي السعدي

هو من عائلة دينية خرج من مدينة الجزائر اثر دخول الجيش الفرنسي اليها وعمل على تجنيد قبيلته في سهل متيجة،وقد أيد بن زعموم في مقاومته بالبليدة ، وبفضل تأثيره الديني استطاع ان يدفع سكان المتيجة لمهاجمة الفرنسيين في القليعة وبوفاريك، وقد خاض معركة كبيرة ضد القوات الفرنسية في اكتوبر 1832، وانضم علي السعدي فيما بعد لمقاومة الامير عبد القادر.

3-الشيخ محي الدين بن المبارك القليعي

إثر اشتداد مقاومة المتيجة عمل الجنرال "برتيزان" لمفاوضة اعيان بوفاريك ، فنصحوه بالحاج محي الدين باعتباره المؤهل للتوسط بين سكان المتيجة وقوات الاحتلال ، وتم الاتفاق على توليه آغا العرب مقابل تعهد فرنسا بدفع مبلغ 70 آلاف فرنك سنويا وأن يبقى الوضع كما هو عليه، وعند مجيئ الجنرال "دوروفيقو" نقض الاتفاق فأعلن محي الدين الثورة على الفرنسيين ، وعقد في سبتمبر 1832 اجتماعا تنسيقيا مع بن زعموم وعلي السعدي دعا الى مواصلة المقاومة وتوحيدها ، واستمر في مقاومته الى ان عيّنه الامير عبد القادر خليفة على اقليم مليانة.

4-الشيخ محمد بن عيسى البركاني بشرشال

التف سكان شرشال حول الزعمات القبلية والدينية، وانتخبوا الشيخ محمد البركاني قائدا للمقاومة، فقاوم الفرنسيين لمدة ثلاث سنوات والتحق بالأمير عبد القادر بواسطة صديقه محي الدين بن المبارك، وقد ربط صلات وطيدة مع زعماء المقاومة بالمتيجة ، استفاد منها فيما بعد عندما تولى الخلافة في المدية ، واصل مقاومته الى جانب الامير عبد القادر واستشهد في معركة الزمالة سنة 1843.

5-احمد بومزراق باي التيطري

أعلن باي التيطري احمد بمزراق خضوعه للفرنسيين لكن كلوزال اتهمه بالخيانة وعين مكانه مصطفى بن عمر ،وبعد اسر الباي بومزراق ونفيه الى الإسكندرية، تمكن ابنه سي احمد من قيادة للمقاومة بالمدينة وتحقيق عدة انتصارات على الفرنسيين ، واستقر بالمدية يجند الناس للجهاد ثم اعلن ولاءه للأمير عبد القادر سنة 1834.

الخلاصة:مما تقدم ذكره ان المقاومة كرد فعل اولية رغم تشتتها تعتبر حركة مقاومة عنيفة ضد الاحتلال الفرنسي، خلقت صعوبات عديدة خلال السنوات الاولى من الاحتلال جعل المحتل يعيد حساباته في اختراق صفوف المقاومة والسكان لاحتلال المتيجة والبليدة والمدية، ولعل ذلك هو ما شغله عن مد نفوذه الى اقليمي شرق وغرب الجزائر، واتاح الفرصة لمقاومتي الامير عبد القادر واحمد باي بأن تحضر نفسها للمجابهة.

المحـاضرة الخامسة :المقاومة الشعبية ببايلك الشرق الجزائري بقيادة أحمد باي من1830-1848م

بعد إمضاء معاهدة الاستسلام بين دي بورمون والداي حسين في جويلية 1830، خُيّلَ للإدارة الفرنسية أنّها ستحكم قبضتها بسرعة وبكل سهولة على كافة القطر الجزائري، لكنها فوجئت بحركات مقاومة عنيفة شلت حركتها وجعلتها تقف عند حدود الجزائر العاصمة، ومن أبرز تلك المقاومات، مقاومة أحمد باي في الشرق الجزائري ومقاومة الأمير عبد القادر في الغرب الجزائري.

-مقاومة أحمـد باي

تعود بوادر حركة مقاومة أحمـد باي إلى بدايات الحملة وإلى التخاذل الذي لمسه الجزائريون من مواقف صهر الداي إبراهيم آغا قائد الجيش الجزائري والتي قادت البلاد إلى الهلاك، عندها قرر أحمد باي الذي كان متواجدا آنذاك بالجزائر العاصمة ساعة تأدية الدنوشللداي ، العودة بسرعة إلى إقليم قسنطينة لتحصينه وسد الطريق على الجيش الفرنسي.

1-مولده ونشأته:

ولد أحمد باي عام 1782، من ام جزائرية تدعي الحاجة شريفة من عائلة بن قانة في منطقة بسكرة، واب تركي يدعى محمد الشريف خليفة حسن باي الذي تولى الحكم بعد صالح باي المنفي سنة 1792، واما جده فهو الباي احمد القلي الذي حكم قسنطينة مدة 16سنة منذ عام 1755م. نشأ احمد باي في بيت اخواله عائلة بن قانة المعروفة في الصحراء، فشب على حياة البداوة وتعلم الفروسية ، وتدرب على القتل ،فكان رجلا حاسما وشجاعا. في مطلع شبابه سافر لأداء فريضة الحج ، عيّن في منصب "خليفة الباي" في قسنطينة لمدة ثلاث سنوات سنة 1817، ثم عزل حتى عينه الداي حسين باشا 1826،

باي على قسنطينة. شرع في تنظيم الامور فاظهر كفاءة كبيرة في تسيير وتنظيم الامور الادارية والسياسية، واخضع معظم القبائل الكبرى الى حكمه. وبدأ بتنظيم أموره الإدارية، وألّف مجلساشوربا وكوّن مجلسا عسكريا، ووضع الخطط لمواجهة المستعمر.

2-مأساة سيدي فرج وبداية المقاومة:

خرج احمد باي الى الجزائر العاصمة لأداء الضرائب والهدايا (الدنوش) وقد كان الداي حسين قد اخبره في رسالة سابقة بموضع الحملة الفرنسية وطلب منه تحصين ميناء عنابة ، وطمأنه بعدم الخوف على العاصمة، ولهذا لم يصحب الباي معه سوى 400 فارس، بينهم أحمد المقراني و ابن حملاوي آغا وشيخ بوشناح وغيرهم.

وعندما وصل الى العاصمة طلب منه الداي ان يلتحق فورا بسيدي فرج،وفور وصوله التقى بباي التيطري مصطفى بومزراقوالآغا ابراهيم واقترح على هذا الأخير خطة دفاع ، انصبت في مناوأة العدو وعرقلة مسيرة نزوله الى البر حتى تتمكن الحاميات الجزائرية من ضربه في مؤخرته ، أما الآغا ابراهيم عارض هذا الاقتراح وقال :" عدم مجابهة العدو ليس من عمل الرجال الشهام".

في 14 جوان 1830 نزلت القوات الفرنسية في سيدي فرج بقيادة دوبرمون وانتصرت على القوات الجزائرية فتحطمت حامية سيدي فرج،فتقرر التراجع الى منطقة سطاوالي اين دارت معركة في 19 جوان 1830،شارك الباي احمد فيها بتعداد حوالي 3 ألاف جندي ،حيث بلغ عدد الجيش الجزائري حوالي 50 ألف جندي ورغم ذلك انتصر الفرنسيون ، فاستسلم الداي حسين في 05جويلية 1830، وانسحب احمد باي الى وادي القليعة ثم الى قنطرة الحراش فلحق به عدد من الهاربين حوالي 1600 شخص وانسحب بهم الى خميس الخشنة ، ثم الى اولاد زيتون ، فحسب ما جاء في مذكرات أحمد باي أن دي بورمون عرض عليه الصلح ، وهو في طريقه إلى قسنطينة، إلاّ أنّ أحمد باي رفض ذلك العرض،

كما طلب منه كلوزيل الاعتراف بالسيادة الفرنسية مقابل بقائه بايا على قسنطينة إلاّ أن أحمد باي رفض العرض جملة وتفصيلا.

وبعد محاولة الجنرال دوبرمون الفاشلة، تلتها محاولة الجنرال كلوزال الذي اعتقد أنه بمقتضى مرسوم 15ديسمبر 1830 يستطيع عزل الباي وتعيين بدله مصطفى باشا احد اشقاء باي تونس خليفة على بايلكقسنطينة ، لكنه فشل ، ثم جاءت محاولات الدوق دي روفيقو –بعد تعيينه في منصب حاكم عام في 17 ديسمبر 1830 – مع احمد باي فيما يخص اعتراف هذا الاخير بالسيادة الفرنسية وتنصيب حاميات فرنسية في عنابة و قسنطينة ودفع الضرائب ، وقد عين حمدان خوجة كوسيط بين الطرفين ، فرفض الباي .

وفي شهر أوت 1830 تمكنت قوات أحمد باي من طرد الفرنسيين من عنابة، ودحض أحمد باي بذلك أقوال كلوزيل الذي قال بأنّ احتلال قسنطينة لا يعدو أن يكون مجرد نزهة

وبعد سقوط العاصمة والمدن الساحلية عنابة 1832 ثم بجاية 1833، رفض الاستسلام للفرنسيين،مستعينا بجيش منظم من المشاة وبالمدفعية وبعاصمة ذات حصانة طبيعية .

3-الغزو الفرنسي الاول لقسنطينة 1836

حاول الحاج احمد باي اقناع السلطان العثماني بالاعتراف به واليا على الجزائر، وامداده بمساعدات عسكرية لمواجهة الفرنسيين، لكنه لم يحظ منه سوى بوعود .

وضع الماريشالكلوزال خطة قال انها كفيلة بغزو الجزائر كلها في ثلاثة اشهرواقنع رئيس وزراء فرنسا "تيير" ، فأعاده الى الجزائر فبدأ بالزحف على قسنطينة في 21 جانفي 1836، فأصدر أمرا الى المملوك بوسف للذهاب الى مدينة عنابة خلفا للجنرال "دوزر"

وتم تعيينه بایاً على قسنطينة في مارس 1836،فبدأ العمل على اعداد الحملة في نوفمبر 1836 من عنابة صوب قسنطينة.جهّز كلوزيل في حملته على قسنطينة 8700 جندي، ووصلت أخباره إلى أحمد باي فاستعد واستدعى الخزناجي علي بن عيسى وكلفه بالدفاع عن المدينة ، واعد له ألف فارس و30 مدفعا ، وامر بتجنيد حوالي 6 آلاف مقاتل خرج معهم بنفسه للقاء العدو ، وضع احمد باي خطة بحيث يقوم بعملة التفاف ثم الهجوم على مؤخرة العدو عندما يتقدم الى اسوار قسنطينة اين تنتظره المدفعية الوطنية ، حاول كلوزال التوغل ولم يستطيع لحصانة المدينة ، وفي النهاية انسحب تاركا وراءه المؤن والجرحى والمعدات وسقوط 11 ضابطا فرنسيا في الميدان وذلك في يوم 23نوفمبر 1836.

وبهده الهزيمة النكراء التي مني بها الجنرال كلوزيل، عُزل من منصبه تاركا مكانه للجنرال دامريمون حاكما للجزائر في 12 فيفري 1837.وحاول هذا الاخير التفاوض مع الحاج احمد باي طالبا منه الاعتراف بالسيادة الفرنسية وتقديم الضريبة السنوية (اللازمة)، فرفض البايكل الاقتراحات، عندها قرر الجنرال دامريمون القيام بحملة اخرى على قسنطينة

4-الغزو الثاني وسقوط قسنطينة1837

إنّ هزيمة الجيش الفرنسي جعلت الإدارة الفرنسية تصر على احتلال إقليم قسنطينة خاصة بعد إمضاء معاهدة الهدنة (التافنة) بين السلطة الفرنسية والأمير عبد القادر30 ماي 1837، وبالفعل عاد الجيش الفرنسي إلى قسنطينة عام 1837.

اعد الحاج احمد باي العدة واستعد لذلك وفي هذا الظرف وصلته رسالة من الماريشالدامريمون والدوق دي نمور يخبرانه بقدوم الحملة الفرنسية ويطلبان منه التفاوض، ، فكان جوابه:"اذا كنتم في حاجة الى البارود او الخبز فاني أعطيكم ما يكفيكم منها ، اما المدينة –اي قسنطينة- فلا تطمعوا بأخذها وفيها أحد حي ".

جمع احمد باي أعضاء ديوانه فرفضوا بشدة اقتراحات الفرنسيين مستنكرين وساطة اليهوديين بوجناح وابن باجو ، وخرجوا بنتيجة نهائية وهي ان الحرب هي التي ستقرر المصير، فاستدعى عددا من الرجال المتخصصين باستعمال المدافع ، وكلف الخزناجي علي بن عيسى والبجاوي بالدفاع عن المدينة من الداخل بصحبة 4 الاف و 500 رجل، واتجه هو بعد ذلك الى مجاز عمرا وهاجم القوات الفرنسية المرابطة هناك، ثم انسحب الى دمدم واد زناتي والصومعة فالمنصورة ، حيث التحق به الشيخ مولاي الشققة من جبال البابور على راس 10 الاف متطوع.وتمكن من كسب ثقة قبائل الحنانشة، والحراكتةالتلاغمة، فرجيوة، أولاد عبد النور، ريغة ومجانة، قبائل الأوراس، سواحل سكيكدة، جيجل والقل...

وبالمقابل تحركت القوات الفرنسية من عنابة بقيادة دامريمونارتفع عدد الجيش الفرنسي في الحملة الثانية حيث وصل إلى 11000 جندي مدعمة بقادة كبار من بينهم "تريزيل، كومب، لامورسيار"، مزودين بمدفعية فتاكة، واسلحة متطورة ، تولى المدفعية فيها الجنرال فاليه ،وتولي سلاح المهندسين والتموين الجنرال دي فليري وتولى الهجوم الضباط كوديا ونصبوا مدافعهم على المنصورة في 5 اكتوبر 1837.

بدأ القصف واصيب فيها قائد الحملة الجنرال دي برومون فلقى مصرعه في 12 اكتوبر وخلفه الجنرال "فالييه" ، فواصل القصف الى ان فتحت المدافع ثغرة في اسوار قسنطينة وقامت ثلاث فرق بالهجوم في 13 اكتوبر ، وتمكنت فرقة الزواوييننمن دخول المدينة وجرح "لاموريسيير" في القتال فخلفه الجنرال برجو فجرح ايضا فخلفه "كارمان" ثم الجنرال"كومب"وقتل في تلك المعركة مائة ضابط والف جندي فرنسي ، بعدما عاثوا في الارض خرابا ودمارا اذ يذكر بعض المؤرخين الفرنسيين ان القوات الفرنسية عندما فتحت قسنطينة احرقت كل الكتب والمخطوطات التي وقعت في ايديهم وفي هذا الصدد ذكر الالماني الرحالة "فاغنر" ان المدينة نهبت لمدة ثلاثة ايام متتالية ، وعرضت للبيع غنائم

من زرابي وبرانس واسلحة ومواد غذائية وكتب عربية ، وذكر ايضا ان اغلب هذه الكتب ضاعت في الطريق الى عنابة ، ونصب الجنرال "فالييه" بعد الاستيلاء على المدينة حامية من 2500 رجل .

وسقطت المدينة في 13اكتوبر 1837 ،بعد ان استبسل السكان في الدفاع عنها وسقط فيها اقرب المقربين لأحمد باي ومساعده القوي شهيدا محمد بن البجاوي قائد الدار . اما الحاج احمد باي انسحب نحو الجنوب القسنطيني لمواصلة المقاومة.

كان النصر هذه المرّة إلى جانب الفرنسيين الذين استفادوا من أخطائهم السابقة في حين تمسك أحمد باي بخطته السابقة التي كان قد خبرها الفرنسيون، فسهل عليهم احتلال قسنطينة، زيادة على ضعف الجيش الجزائري الذي جلّه من المتطوعة، زد على ذلك الافتقاد للإمكانيات والعتاد العسكري، وعدم وصول مساعدات من الأستانة أو على الأقل من باي تونس، هذا الأخير الذي اتفق مع الفرنسيين مقابل تسليمه قسنطينة وعنابة.

5-استمرار المقاومة(1837-1848):

انتهت معركة قسنطينة بدخول الجيش الفرنسي، ومع ذلك قرر أحمد باي مواصلة المقاومة ورفض كل النصائح التي تدعوه للاستسلام والتخاذل، ولم يقبل نصيحة الذين أشاروا عليه بمغادرة الجزائر.

عقد الباي مجلسا جمع ما بقي من مساعديه من قادة وجنود واقترح عليهم تشكيل زمالة بجميع الذين خرجوا من المدينة ويذهبون بها الى الجنوب في مكان آمن ، اما هو يرجع الى المدينة ويتمركز في طريق عنابة ليقطع حركة جميع الاتصالات الفرنسية ، فتمت المصادقة على المشروع ، ماعدا خاله بوعزيز بن قانة الذي عارض الفكرة وعرض على احمد باي بالتوجه الى منطقة الزيبان والاطاحة بخليفة الامير عبد القادر فرحات بن سعيد ، عوض ملقاة العدو الفرنسي فاضطر الباي الى اتباعه ذلك انه لم تكن له قبيلة

تحميه وتشد ازره ماعدا اخواله ، واكتشف فيما بعد ان ابن قانة كان هو مصابه الاعظم. وفي هذا الشأن قال أحمد باي:« وفي الحين فكرت في محو الهزيمة، لأنّ الله لا يضيع كلّيا إلاّ الذين يهملون أنفسهم، لذلك استدعيت قادة القوم، فاجتمعوا حولي، وبعد أن استعرضت الموقف اقترحت عليهم تشكيل زمالة بجميع الذين خرجوا من المدينة، ثمَّ نقودها إلى مكان أمين في الجنوب، ونُبقيها فيها تحت حماية مشاتنا، أما نحن فنرجع فورا إلى المدينة، ونتمركز في طريق عنابة بحيث نقطع حركة المرور، فنحن نعلم أنّ العدو خسر بالإضافة إلى كبير الجنرالات-دامرمون- عددا آخر من الضباط المعتبرين، وأنّ المؤن قد تكون نفذت، وعليه فإذا استطعنا أن نتمركز في طريق عنابة بحيث نقطع جميع الاتصالات بالمكان الذي يمكن أن يبعث النجدات، فإنه يكون لنا أمل كبير في تحقيق النصر، وتمّت المصادقة على مشروعي، وكاد يدخل في حيز التنفيذ عندما صاح بوعزيز بن قانة قائلا:" ماذا تريدون أن تفعلوا تبتعدون عن بلدكم، وتتوجهون نحو الشمال، إذن فأنتم لا تعلمون أنّ فرحات بن سعيد يقترب بسرعة من الزيبان، وفي الوقت الذي تحاولون فيه الدفاع عن قسنطينة، فإنكم تعرضون أنفسكم للطرد من منطقتكم، ولذلك يجب أن نسرع إلى الصحراء، ندخل عائلاتنا ومن اتبعنا إلى المدن، ثم نخرج متحدين ضد العدو الذي نخشى هجومه أكثر، فالفرنسيون لم يتقدموا، بينما فرحات بن سعيد يزحف علينا، ومن ثمة يجب أن نبدأ بمحاربته، وبعد ذلك نوحد قوانا، ونهاجم الفرنسيين". لم استحسن هذه النصيحة، ولكنه لم يكن لي أهل- عدا أبنائي- أقرب من بوعزيز، فلم أكن أعتقد أنّه يستطيع أن يقترح عليّ ما من شأنه أن يضرَّني، وعيه انضممت إلى رأيه، ولو أنّ الله هداني في ذلك الوقت لفهمْت أنّه يريد جلبي إلى الصحراء ليأخذ أموالي عن آخرها، ولكن إذا حكم القدر على شخص بالهلاك، عُمِيَ بصره وبصيرته، وصار يعتقد الخير فيما يؤدي إلى الخراب، وأكرِّر، لقد اتبعت رأي بوعزيز، وكان ذلك هو مصابي الأعظم»

وهكذا فرضت الظروف على احمد باي بالتوجه نحو الجنوب منطقة الزيبان بلد اخواله ،فخرج الى بسكرة واشتبك مع فرحات بن سعيد في سنة 1838 وانتصر احمد باي عليه ، ثم انسحب هذا الاخير من المنطقة في نهاية ماي 1838 تاركا خليفة الامير عبد القادر "محمد البركاتي" يتولى شؤونها فعين عبد القادر الحسن بن عزوز.

بقي احمد باي متنقلا بين مختلف القبائل في الاوراس والصحراء في عام 1838 يتكبد فيها المشاق، يتعرض للمضايقات من الفرنسيين ومن خصومه الجزائريين تارة اخرى.

اشتبك خلال تلك المدة مع قوات العدو في معارك كثيرة، انهزم في بعضها وانتصر في اخرى ، ففي سنة 1843 تغلب احمد باي على طابورين فرنسيين في نواحي الحضنة ، واتجه في السنة الموالية الى منعة فجبل احمر خدوبالاوراس ، واشتبك مع الدوق ابن الملك لويس فيليب الذي عين حاكما عسكريا على اقليم قسنطينة اواخر 1843 في اولاد سلطان في ربيع 1844 وانتصر عليه احمد باي انتصارا عظيما بعد معركة دامت ثلاثة ايام.

ومهما يكن من الامر، فإن الحاج احمد باي كان على اتصال دائم بالباب العالي ،وكان يراسل السلطان العثماني فلم يحظ الا بالوعود.

ان مسالة تدخل الباب العالي بقسنطينة لرد الاحتلال الفرنسي قد نوقشت كيرا بديوان الحكومة العثمانية ، ففي 7 افريل 1836 ارسل"كيميل باي "عقيدا بالفيلق الثاني في مهمة الى قسنطينة ، لم تكن الا مجرد وعود قدمها الباب العالي الى الحاج احمد باي والامير عبد القادر حاثا الاول تجنب وقوع مدينته تحت السيطرة الفرنسية ؛ ففي الحملة الاولى بعث احمد باي رسالة الى الباب العالي في نوفمبر 1836 يطلب فيها المساعدة من الدولة العثمانية ، لكن الباب العالي كان يدرك صعوبة ارسال الاسلحة والعتاد الحربي الى

باي قسنطينة .ورغم ذلك بقي يثق بالباب العالي و ينتظر منه العون والمدد، فوجه رسالة قاسية ومؤثرة ،مما جاء فيها: «بادروابإمداد اهل الايمان بالمساعدة و بنصرة امة الاسلام ، وعندما يعاتبكم الله يوم الحشر ، تسألون عن ضياع هذه الولاية،فماذا سيكون جوابكم؟".

لقد عانى الحاج احمد باي الكثير من المحن والشدائد بعد سقوط المدينة الحصينة قسنطينة في 13اكتوبر 1837على يد العدو الفرنسي، خاصة من اقربائه اولاد بن قانة (اخواله) الذين غيروا ولائهم واخذوا لقب الخليفة من الفرنسيين ، وفقدالنجدة و المساعدة من جيرانه(تونس وطرابلس) وايضا من الباب العالي ، وخلافهمع الامير بعد القادر ، ورفضه التعاون معه ، كل هذه الظروف مع كبر سنه ومرضه وقلة انصاره ، جعلته يتجهللاستسلام والامان بعد مفاوضات عديدة ومستمرة ، كانت اخرها التي اجراها في صيف 1848 حين جاء وفد من الحاج احمد باي الى الضابط سان جيرمان في باتنة يعرض فيه الاستسلام على اساس الامان وعدم تسليمه لأعدائه والترخيص له بالتوجه نحو الشرق.وأخيرا أعطاه الضابط "كاروبير" عهد الامان وتوجهوا به الى بسكرة ثم قسنطينة ثم الجزائر ، وابقوه هناك في اقامة جبرية، الى أن توفي في 30 اوت 1852، ودفن بمقبرة عبد الرحمن الثعالبي.

كان أحمد باي لا يفتقر للحنكة السياسية والقدرة القتالية ، ولكنه افتقر للدعم من قبل الآخرين، ففي الوقت الذي انكب فيه لمواجهة الفرنسيين والقضاء عليهم وحماية إقليم قسنطينة ، وجد نفسه وسط عصبة من الأعداء يتربصون به ساهموا في فشل مخططاته وعدم تمكنه من استرجاع قسنطينة، فبدل أن يواجه جبهة واحدة واجه عدّة جبهات وهي:

-جبهة مصطفى بومرزاق باي التيطري، الذي لقب نفسه باشا وطلب من أحمد باي الطاعة ودفع اللزمة، رفض أحمد باي العمل بذلك. غضب مصطفى وادعى عزله وعين مكانه إبراهيم الذي سبق له أن كان بايا على قسنطينة وعزله الداي حسين، فتحالف إبراهيم مع فرحات بن سعيد ضد أحمد باي الذي اشتبك معهما مرات كثيرة، وعلى الرغم

من الانتصار كان حليفه، إلا أن قوته أصيبت بالهوان، وصارت الضرائب لا تدفع له إلا قهرا بفعل تحريض فرحات بن سعيد للأعراش والقبائل.

-جبهة الطامعين في منصبه وأمواله، وعلى رأسهم ابن خالته بوعزيز بن قانة. أما الأمر الذي أثار طمع هؤلاء، هو كرغلية أحمد باي، وافتقاره لقبيلة تحميه، كما هو شأن باقي زعماء حركات المقاومة.

-جبهة الخونة ومنهم فرحات بن سعيد الذي ألب عليه القبائل وتحالف مع الإدارة الفرنسية، طمعا في نيل الولاية على كافة الصحراء الشرقية التي كانت امتدادا لإقليم قسنطينة الذي يحكمه أحمد باي.

-جبهة باي تونس الذي اتفق مع الإدارة الفرنسية،سعيا لاقتطاع إقليم قسنطينة فأوقف المعونات العثمانية التي كان ينتظرها أحمد باي والتي لو قدر وصولها إليه لكانت كفته هي الراجحة.

-أخيرا، جبهة الأمير عبد القادر، فبالرغم من اتفاق كلا الطرفين على محاربة الإدارة الفرنسية، غير أنّ نظرة الأمير عبد القادر لأحمد باي لم تكن نظرة المعجب بالمجاهد والمناضل، بل نظرة ازدراء تجاه ممثل السلطة التركية المتسببة في احتلال الجزائر من قبل الفرنسيين. كما أنّ السلطة الفرنسية تمكنت من زرع الفتنة بين الطرفين خاصة بعد سلسلة الاتفاقيات التي جمعت بين الأمير عبد القادر والجنرالات الفرنسيين وأهمها معاهدةالتافنة سنة 1837.

المحاضرة السادسة : مقاومة الأمير عبدالقادر بالإقليم الغربي 1832-1847.

تمهيد

انطلقت مقاومة الامير عبد القادر بالإقليم الغربي من الجزائر التي تعتبر امتدادا للمقاومات التي واجهت الاحتلال الفرنسي منذ البداية، تميزت بتنظيمها و شموليتها لأنحاء واسعة من غرب الجزائر ووسطها، حيث تمكن الامير من تعبئة الجزائريين لحمل راية الجهاد، وارساء النظم الحديثة للدولة في مختلف المجالات ، وفيما يلي نحاول التعرف على ظروف اندلاع المقاومة وتطوراتها.

1-الوضع العام بإقليم الغرب

كان الاقليم الغربي للجزائر يتسم بفراغ سياسي وعدم الامن، نتيجة تخلي الباي " حسن " الذي كان يحكم ايالة الغرب عن السلطة يوم 7 جانفي 1831، وقد جاء هذا الاستسلام للعدو بعد ان قام الجيش الفرنسي باحتلال ميناء المرسى الكبير يوم 4 جانفي 1831.

ومن جهة اخرى بعث حضر سكان تلمسان بوفد الى السلطان المغربي "عبد الرحمن بن هشام" يطلبون منه الحماية وبعد تردد قبلها، فارسل في شهر نوفمبر 1830 خليفته مولاي سليمان رفقة قوة من الجيش المغربي ليتولى حكم تلمسان، فاحتج الجنرال كلوزال على هذا التدخل في الجزائر وهدد من المملكة المغربية، الا ان سلطان المغرب لم يأخذ تهديداته بجدية وواصل عمله، وعندما توسع نفوذ المغرب في الغرب الجزائري شعر الفرنسيون هذه المرة بالخطر الذي اصبح يهدد مصالحهم ونفوذهم في الجزائر، فبعثت الحكومة الفرنسية مذكرة احتجاج وارسلت الى سواحل مدينة طنجة المغربية يوم 18 نوفمبر 1831 سفينتين حربيتين ، وامام هذا الضغط الدبلوماسي والعسكري استسلم في

الاخير السلطان المغربي لأوامر الملك الفرنسي " لويس فيلب" وسحب قواته من التراب الجزائري.

ولملء الفراغ السياسي في الغرب الجزائري بادر الجنرال كلوزال الى تعيين باي تونس حاكما على وهران بموجب الاتفاقية التي تمت بين الطرفين يوم 4 فيفري 1831، وهذا مقابل دفع ضريبة سنوية لحكومة فرنسا، إلا انا قوات باي تونس انسحبت بسبب عدم وجود أية سلطة تدفع رواتبهم وكذلك بسبب استياء باي تونس من المبلغ الكبير الذي يدفعه الى فرنسا. وهناك بعض من الروايات تقول ان قوات باي تونس انسحبت لأنه وجد اما خزينة فارغة من الاموال.

وامام هذا الوضع القائم في اقليم الغرب الجزائري التجأ سكانه الى شيوخ الزوايا ولم يجدو افضل من الشيخ محي الدين كقائد يوحدهم ويقوم المقاومة، فطلبوا منه الامارة فرفضها وقبل الجهاد في سبيل الله.

2-مولده ونشأته:

ولد الامير عبد القادر بن محي الدين يوم الجمعة 23 رجب 1222هـ الموافق لـ 26 سبتمبر 1807، في قرية القيطنة بالضفة اليسرى لوادي الحمام في منطقة غريس قرب مدينة معسكر. نشأ الأمير وترعرع في بيئة علمية، دينية، حفظ القران في سن مبكرة ، وتعلم مبادئ العلوم اللغوية والدينية، كما تعلم الفروسية. بدأ حياته العلمية في قرية القيطنة، تلميذا لأبيه الشيخ محي الدين الذي كان عالما جليلا ، اخذ على يده الفقه ، ولما بلغ الرابعة عشر من العمر توجه عبد القادر الى في مدينة وهران ليتلقى تعليمه في مدرسة تحت اشراف احمد بن خوجة.

ويذكر ابنه محمد باشا عن نشأته فيقول :" نشأ على عفة وصيانة، مُرضِي الحال محمود الاقوال و الافعال، أخذ الفقه عن والده وغيره من العلماء، ورحل الى وهران وأخذ

عن علمائها وكان حافظا الكثير من العربية و القدر الوافر من صحيح البخاري عن ظهر قلب".

حج عبد القادر وهو حديث السن في سنة1828 مع ابيه، فأتاحت له الفرصة الاتصال بالبيئات العلمية بالشرق الاسلامي، والاخذ من علمائه التي زارها في تونس، مصر، الشام، العراق.

إن تلك الرحلة التي دامت أكثر من سنتين أتاحت لعبد القادر فرصة الإطلاع على أنظمة الحكم في الاقطار المشرقية وأوضاعها في مختلف الميادين، بالإضافة الى قراءته للكتب في التاريخ و الفلسفة والفلك والجغرافيا والطب، حتى تجمعت لديه مكتبة ضخمة.

3-بيعة الامير عبد القادر

لما سقطت مدينة وهران على يد الفرنسيين في سنة 1831، وأمام الفراغ السياسي الناتج عن زوال سلطة حسين واستسلام باي وهران، التف سكان الناحية الغربية حول الشيخ محي الدين للتصدي لهذه الهجمات، فأحرزوا فيها انتصارات هامة خاصة في معركتي خنق النطاح الاولى والثانية في ماي 1832، ومعركة برج رأس العيون بوهران ضد الجنرال "بويه " وكان الفتى عبد القادر جنبا الى جنب مع ابيه يخوض المعارك مستبدلا القلم بالسيف، تجلت فيها عبقريته وشجاعته التي رشحته للقيادة وعمره لا يتعدى 25 سنة."فطلبوا منه ان يبايعوه على السمع والطاعة، فاعتذر اليهم بكبر سنه، وبعد زمان طويل تكرر فيه طلبهم مرات، ووقع الحاحهم تارات ، ورأى ان النظر في هذا الامر قد تعيين عليه.

وأتاه بعض علماء غريس وهم من الصالحين فقالوا:" إن اولياء الله قد اتفقوا على نصب ولدك (عبد القادر) لنصر دين الله ورأى ان ولده مستعد لهذا الامر... فاجتمع اهل الحل والعقد وبايعوه من غير طلب من الامارة..."

كانت البيعة الاولى في رجب 1248هـ الموافق لـ 27نوفمبر 1832مـ تحت شجرة الدردارة بسهل غريس، ولقبه والده (ناصر الدين) بعد أن بايعه على السمع والطاعة، أما البيعة الثانية العامة تمت في 13 رمضان 1248هـ الموافق لـ 4فيفري 1833 بانعقاد مجلس عام حضره الجمهور من الاشراف والعلماء والرؤساء من كل قبيلة ، اتفقوا جميعا على نصرته ، وصار الناس بعد ذلك يتشوقون الى اعلان الجهاد ، فكان ما يصيبون اليه. وتجمهر الفقراء والفلاحون والجنود في سهل غريس يؤمنون على البيعة ويدخلون في حزب الجهاد تحت راية المؤمنين الجديد، وقد دخل الامير عبد القادر مدينة معسكر وجعلها هي العاصمة لانطلاق المقاومة وانبعاث الدولة الجديدة.

ما ان انتصب الامير عبد القادر، حتى بادر بتنظيم امور الدولة، فأسس مجلسا للوزراء، ومجلسا للشورى ، وفي وضع قوانين مستمدة من الشريعة الاسلامية، وسك عملة باسمه، وقسم البلاد الى ولايات، ونصب على راس كل ولاية خليفة ، كما حدد الاهداف من المقاومة ومن تأسيس الدولة و حصرها في:

1-نشر الامن وتأديب الخونة العصاة.

2-توحيد القبائل حول مبدأ الجهاد.

3-مقاومة الفرنسيين بكل الوسائل.

4-مراحل مقاومة الامير عبد القادر

مرت مقاومة الامير بثلاث مراحل هي:

1-مرحلة الانطلاق والقوة (1832-1837)

ظلت فيها المبادرة العسكرية والتفوق على الارض غالبا لصالح قوات الامير، و هكذا فلم يمض عليه سنتان في الحكم (1832-1834)حتى استولى على ثلاث مدن رئيسية هي تلمسان والمدية و مليانة ، وحاول تحرير وهران ومستغانم ارزيو وشدد

الحصار عليها ، ولكن العدو جاء بالمدد وحصن نفسه واستعان بضعفاء النفوس امثال ابراهيم بوشناق ومصطفى بن اسماعيل واحمد بن الطاهر ومحمد الغماري.

وبتوالي انتصارته، اضطر الجنرال ديميشال حاكم وهران –خلفا للجنرال بواييه- ان يعقد مع الامير هدنة سُميت "بمعاهدة ديميشال" وذلك في 28 فيفري 1834 ، اعترف فيها بامارته على كامل البلاد مقابل اقراره لفرنسا بالسلطة على مدن الجزائر ومسرغان ووهران وارزيو.

وهذا نصها:" ان قائدي الجيش المقيم في وهران الجنرال ديميشال والامير عبد القادر بن محي الدين اعتمدا و اتفقا على ما يأتي ذكره في الامور:

1-منذ تحريره (الصك) يصير ترك الحروب والخصومات بين الفرنسيين والعرب. وكل من الجنرال ديميشال والأمير عبد القادر يجتهد في القاء الالفة بين شعبين اقتضت الارادة الالهية ان يكون جنبا الى جنب ، ولأجل ذلك يتعين وكلاء من الامير عبد القادر بوهران ومستغانم واريز ، كي لا تقع الخصومة بين الفرنسيين والعرب ، كما انه يقام وكيلا عن فرنسا ضابط فرنسي في معسكر.

2-يصير احترام ديانة الاسلام وعوائد اهله.

3-يلزم رد الاسرى من الفريقين.

4-يصير اعطاء الحرية الكاملة للتجارة.

5-تلتزم العرب بإرجاع كل من يفر إليهم من المعسكر الفرنسي ويلتزم الفرنسيون بتسليم كل من يفر اليهم من اجل الجرائم الهاربين من القصاص الى وكلاء الامير في المدن الثلاث.

6-من اراد من الاوروبيين ان يسافر الى داخلية البلاد يجب ان يكون مصحوبا بتذكرة تكون عليها علامة وكلاء الامير، يصححها الجنرال، وبذلك يحصل على الحماية في جميع الاقاليم.

استغل الامير عبدالقادر هذه المعاهدة او الهدنة لتوسيع نفذوه، وتأسيس جيش نظامي وترسيخ قواعد الدولة الجديدة وبناء مؤسساتها وتطورها وبسط نفوذه على بايلك الغرب من اجل عزل ومحاصرة التواجد الفرنسي على الساحل و المتمثل في احتلاله لمدن مستغانم ، أرزيو ، وهران وقطع كل السبل لها للاتصال والانفتاح نحو الداخل الا بواسطة وكلائه.

في هذا الوقت الذي انكب فيه الامير على اعداد دولته عزل ديميشال وحل محله تريزيل نتيجة ضغط التجار الفرنسيين حين تأثرت تجارتهم بما لحقها من الاضرار لان ارزيو كانت مركز نشاط التجاري ووفقا لمعاهدة الصلح فأرزيو كانت تحت نفوذ الامير، ومن ناحية اخرى فان امتداد نفوذه ايضا من الناحية الشرقية لبايلك الغرب ازعج كثيرا السلطات الفرنسية.

اهتم الامير بالشرق الجزائري الذي سكتت عنه المعاهدة، وبالمناطق المحيطة بالجزائر العاصمة ، فتوغل في اقليم التيطري واستولى على المدية في افريل 1835 وعلى مليانةوعين على الاول نائبا عنه كحاكم على اقليم التيطري ، واستولى على واحة بسكرة في الجنوب الشرقي.

اعترضت الامير اعترضته عدة مشاكل اثناء توسعه خاصة مع قبائل الدوائر والزمالة التي حاول زعيمها مصطفى بن اسماعيل ان يدبر انقلابا ضد الامير ولم يفلح فالتحق بالفرنسيين.

استعمل الجنرال تريزيل المعاهدة مع قبيلتي الدوائر والزمالة كورقة ضاغطة لينقض المعاهدة مع الامر، بعد قلقهم من تزايد نفوذه، وقد حمل الامير مسؤولية الحرب على عاتق تيرزيل، وواجهه في غابة مولاي اسماعيل قرب مدينة سيق في 26 جوان 1835 فكانت معركة سيق اين تكبد فيها الفرنسيون خسائر كبيرة. وفي اليوم التالي استأنف القتال بين الطرفين ، بحيث استطاع الامير ان ينزل بقوات تريزيل الهاربة ضربات قاسية في "معركة المقطع" – شرق مدينة أرزيو – الذي يقارب 5 ألاف جندي ، وخلقت هذه الهزيمة

وراءها اثارا سيئة شديدة في فرنسا ، ادت الى عزل تريزيل وتولية كلوزيل مكانه في جويلية 1835 وأرسلت معه قوات كبيرة لمواجهة الامير.

كان حلم كلوزيل ان ينتصر في الجزائر ليعيد سمعته المنهارة وسيرته العسكرية المتسخة، ولكن الحظ لم يشرفه، بحيث هاجم مدينة معسكر في ديسمبر 1835 لكنه وجدها فارغة بعدما اخلاها الامير، فأحتلها بدون مقاومة، واتخذ الامير عاصمة جديدة هي تاقدمت غربي تيارت . ثم قام كلوزيل بغزو تلمسان في 12جانفي 1836 واحتلها بالتواطؤ مع بعض الخونة فيها، لكن جنود الامير ظلوا مسيطرين على الطريق بينها واشتبكوا مع قوات الامير، وتغلبوا عليها في معركة وادي سكاك غربي تلمسان وذلك في 6جويلية 1836. وهذا الوقت الذي انهزمت فيه القوات الفرنسية بقيادة كلوزيل امام حامية قسنطينة وانكسرت على يد الحاج احمد باي زعيم المقاومة في الشرق، وذلك في نوفمبر 1836.

لما توالت انتصارات الامير عبد القادر على قوات الاحتلال، كان الفرنسيون يبحثون عن الهدنة حتى يتفرغوا للحملة الثانية على قسنطينة، فالتقت الجهود على عقد معاهدة صلح بين الامير وبوجو وهي التي تعرف بـ:

معاهدة التافنة في 30 ماي 1837:

توقفت بموجبها الحرب بين الطرفين فترة، واعترف كل منهما بمناطق نفوذ الاخر، وتبادلا القناصل، حيث استغلها الامير لتنظيم دولته وتعزيز جيشه، وجاء فيها:

1-يعترف الامير بالسلطة الفرنسية على مدينتي وهران والجزائر.

2-تحتفظ فرنسا كذلك بالمناطق المجاورة للمدينتين.

3-تعترف فرنسا بإمارة الامير على اقليم وهران واقليم التيطري والقسم الذي لم يدخل تحت نفوذ فرنسا في اقليم الجزائر من الناحية الشرقية.

4-يدفع الامير للفرنسيين مقدرا من الحبوب وعددا من الاقبار في مدينة وهران على ثلاث مراحل.

5-يمكن للأمير ان يشتري من فرنسا ما يحتاجه من الاسلحة والذخائر.

6-تتخلى فرنسا للأمير عن مدينة تلمسان وقلعة المشور و مرسرشقون.

7-يطبق مبدأ حرية التجارة بين الطرفين في الاقليمين.

8-يجري تبادل المجرمين بين الطرفين.

9-لكل من فرنسا والامير ان يعين ممثلين عنه في مدن الطرف الاخر لرعاية مصالح الناس التابعين له.

بموجب هذه المعاهدة اصبحت راية الامير ترفرف على كل مقاطعة وهران وعلى جزء كبير من مقاطعة الجزائر، وان كانت فرنسا لم تعد تحتفظ حسب نصوص هذه المعاهدة الا بنواحي مدينة الجزائر ووهران ، وتخلت عن باقي القطر للامير، بحيث وصفها المؤرخون الفرنسيون بأنها كانت على فرنسا كارثة وافدح من كارثة معاهدة ديميشال ،لهذا السبب رفضها البرلمان الفرنسي؛ اذ كانت للأمير مكاسب، وفرنسا كذلك ،والتي من بينها احتلال القوات الفرنسية بقيادة الجنرال فالي قسنطينة في اكتوبر 1837 واستلاءهم عليها .

2-مرحلة تنظيم الدولة (1839-1837)

كانت معاهدة التافنة بين دولة الامير عبد القادر والسلطة الفرنسية خدمة للطرفين، خدمة للأمير بحيث قام بعملين بارزين في حياة الجزائر السياسية، الاول بسط نفوذه على جزء كبير من الشرق الجزائري حتى شرقي مدينة سطيف مرورا ببلاد القبائل ، والثانية بسط نفوذه على الصحراء ، فامتدت الى ما وراء وادي ميزاب ووادي سوف والاغواط وعين ماضي وغيرها ، والواقع ان الامير بدأ سياسته في الصحراء منذ سنة 1836، في حين خدمت لفرنسا بأن تفرغت للقضاء على قوة احمد باي واحتلالها لمدينة قسنطينة ، وبعبارة اخرى فان المعاهدة لم تترك لفرنسا سوى سواحل المتيجة والبليدة.

واستغلالا لهذه الهدنة قام الامير عبد القادر، بعدة اصلاحات في دولته وارسى قواعدها بطريقة عصرية،فأعاد تنظيم الجيش وتدريبه وتسلحيه بعناصر جادة ، وقام

بتقسيمه الى جيش نظامي و غير نظامي مقتديا بالجيوش الاوروبية ، بحيث ارتكزت قوة الجيش القتالية على دعامتين مادية ومعنوية، تتمثل الاولى بوفرة الجند وكثرة السلاح وحسن التدريب ، واما الثانية فتهدف الى الطاعة والانضباط والثقة المتبادلة بين الرؤساء والمرؤوسين وكانت من اهم العوامل التي مكنته من الصمود طويلا ضد الفرنسيين والقضاء بسهولة على منافسيه.

ومن التنظيمات التي أظهرها الامير انه اعتمد على الشورى في تعامله ،فأنشأ مجلسا شوريا ،كان يستفتي العلماء حتى من خارج الجزائر (الازهر ، الزيتونة ، القرويين) ،واتخذ ايضا مجلسا وزاريا.

كما قام ايضا بتقسيم دولته الى ثمان ولايات على رأس كل منها خليفة، يعتبر نائبا عنه ، وكان عدد الاقاليم اربعة بين 1832-1837 ، فأصبحت ثمانية منذ هذا التاريخ، ومن ابرز خلفاءه في هذه المرحلة : مصطفى بن التهامي خليفة معسكر، ومحمد البوحميدي الولهاصي خليفة تلمسان، ومحمد بن علال خليفة ملیانة ،ومحمد بن عيسى البركاني خليفة المدية، أما خلفاءه في المرحلة الثانية أحمد بن سالم المقراني خليفة مجانة ، فرحات بن سعيد خليفة الزيبان والصحراء الشرقية(بسكرة) واحمد بن سالم الدبيسي خليفة جبال القبائل (برج حمزة) ،قدور بن عبد الباقي خليفة الصحراء الغربية.

بالاضافة الى التقسيم الاداري، منح الامير سلطات واسعة للخليفة، في جمع الضرائب واقامة الحدود وغيرها من المعاملات والخلفاء بدورهم يتلقون الاوامر من عاصمة الامارة وينقلون التعليمات الى الاغوات فالقياد فالشيوخ وكان سعاة البريد واسطة النقل.

كما قام ببناء معامل للسلاح والذخيرة بالاستعانة بخبراء اجانب في تاقدمتوملیانة وتلمسان، واقام حصون عسكرية في سبدو ،بوغار ، سعيدة ،وتارة (جنوب ملیانة) كما اعتمد لدولته الفتية راية وطنية وشعار رسمي لها "نصر من الله قريب ناصرالدين عبد القادر بن محي الدين " وقد عين الامير عبد الله بن يوسف لحملها.

وضع الأمير جهازا قضائيا يستمد احكامه من الشريعة الاسلامية، وشجع الفلاحة وتربية المواشي، ووضع ميزانية عمادها اموال الزكاة والضرائب ، كمل شجع الناس على التعليم بإرسال العلماء لبث العلم في اوساط الشعب ، وجمع المخطوطات حفاظا من الضياع ، وأسس نظاما للتعليم العام بين جميع القبائل ففي هذا السياق قال:" من واجبي كحاكم ومسلم ان اؤيد وابعث العلوم والدين ، لذلك فتحت المدارس في المدن وبين القبائل".

عرف الامير بالمهارة الدبلوماسية وبالذكاء وسعة الاطلاع على احوال العصر، وتثبت المعاهدتان اللتان وقعهما مع فرنسا حقا براعته وحنكته، فهو سواء في معاهدة ديميشال (1834) او معاهدة التافنة (1837) كان الرجل الذي يدافع عن المبادئ ؛ بحيث كان حريصا على اعتراف العدو به ممثلا للشعب الجزائري ومنع الفرنسيين من الاستقرار في الجزائر، فقد اتاح له دهاؤه ان يكسب مودة ديميشال، بحيث فعل كل ما في وسعه ليرفع من شأن الامير، فمكنته من اخضاع معظم القبائل التي تقيم فيما بين المدية ووجدة (المدينة المغربية)، حتى أنه أقام علاقات وثيقة مع انجلترا فربط معها علاقات تجارية ، ومع السلطان المغربي ونظام الحكم التونسي وباريس وحتى مع الباب العالي . وبناء على ما تقدم بذل الامير جهدا دبلوماسيا لإعطاء بعدا لدولته الفتية ولربطها بالدول العظمى.

3-مرحلة حرب الابادة والتسليم (1839-1847)

اتسمت هذه المرحلة بعودة الحرب من جديد بين الطرفين، بعد شعور الفرنسيين بخطورة نشاطات الامير على مصالحهم فنقضوا معاهدة التافنة، ولم يرتح لهم بال حتى وجدوا مبررا للعودة الى الحرب، وهذا ما ذهب اليه الجنرال فالي الحاكم العام للجزائر بتقديم مشروع معاهدة جديدة للأمير تتضمن امتيازات جديدة للفرنسيين مثل تعديل الحدود الشرقية بشكل يمكنهم ضم كل اقليم قسنطينة اليهم.

بدأت الحرب بهجوم قام به الامير في 22 نوفمبر 1839 على الفرنسيين في سهل متيجة، كما وقعت هجومات ضد المستوطنين الأوروبيين في ولايتي وهران والتيطري ، وقطعت المواصلات بين المعسكرات الفرنسية وهاجم جنود الامير سفينة عسكرية في ميناء شرشال.

بلغت قوات الامير في بداية 1840، 80 الف جندي ، معظمهم غير نظاميين واستدعت فرنسا قوات نظامية اضافية في شهر مارس 1840 لتصبح قوتها 58 ألف، لترتفع مجددا الى 100 ألف جندي. ففي معركة البليدة يوم 31 ديسمبر 1841 فقد الامير كثيرا من جنوده ، واحتل الفرنسيون المدية في 17 ماي 1840، وملیانة 9 جوان 1840 .

وبمجيئ الجنرال بوجو الى الجزائر في 22 فيفري 1841 استولى على عاصمة الامير تاقدمت في 25 ماي 1841 ومعسكر في 30 ماي، ثم احتل تلمسان وسبدو في فيفري 1842 وغيرها.

وقد ارتكب الفرنسيون خلال ذلك مجازر فضيعة، وخربوا القرى والمداشر، تطبيقا لسياسة بوجو الجديدة والمتمثلة في سياسة الارض المحروقة، ولم يكتفوا بهذا بل اجبروا الأمير على الانسحاب الى الجنوب بعاصمته المتنقلة " الزمالة"، وأخذوا يلاحقونه ويطاردونه، حتى هاجم الفرنسيين في 16 ماي 1846 في معركة عين طاقين فكانت النتيجة 3 ألاف شخص بين قتيل وأسير ، واستولوا على معظم مؤنه وذخائره ومن بينها مكتبته الخاصة ، وكاد هو نفسه ان يقع في الاسر، واضطر بعد مطاردة دامت حوالي 7 أشهر ان يلجأ الى مراكش بعد أن فشل في تحقيق الصلح مع الفرنسيين بالجزائر و فرنسا.

استجاب السلطان المغربي عبد الرحمان بن هشام لطلب الامير في اللجوء الى بلاده، لكن السلطات الفرنسية احتجت لدى السلطان ، مما ادى الى الهجوم على المغرب

وهزمت جيشه في معركة ايزلي يوم12 اوت 1844، وقامت باحتلال وجدة وقصف طنجة.

فرضت فرنسا على المغرب معاهدة طنجة في 12 سبتمبر 1844 لسحب السلطان تأييده للأمير الذي عرضت عليه قبائل الريف مبايعته سلطانا عليها فرفض، فاضطر العودة الى ارض الجزائر.

تمكنت قوات الامير من تحقيق انتصارات على الفرنسيين تمثلت خاصة في هزيمة قوات "كافينياك" في معركة سيدي ابراهيم (غرب الغزوات) في اواخر سبتمبر 1845، انكسر فيها الجيش الفرنسي بحيث اسر فيها الامير حوالي 600 جندي فرنسي. وتزامن ذلك مع تناقض الامكانيات المادية والشرية لقوات الامير، خاصة بعد انهزام ابن سالم في الشرق والقبض على بومعزة في الوسط في مارس 1845، وحدث اختلال جوهري لطرده ، فاشتبك معها ، فانتصر عليها في 6جوان 1847، ثم عبر الحدود الى الجزائر فوجد امامه الجيش الفرنسي بقيادة الجنرال لا مورسيار ، فتحرج الامير،إذ اصبح معزولا عن الشعب الذي اخضعته فرنسا بوسائل القهر ، ومعزولا عن الخارج بعد ان سدت فرنسا في وجهه منافذ البحر ، وأغلقت الحدود الشرقية والغربية ، وبعد ان استشهد اشهر قادته، وانفضت من حوله العديد من القبائل حاملة السلاح ضده.

بعد هذه الاخفاقات التي عرفها الأمير ، جمع مساعديه واستشارهم، وقرر ان يجنب انصاره الاستئصال وشعبه مزيدا من المعاناة ، فاتصل ب"لامورسيار" ليتفق معه على شروط وقف القتال، ومن اهم هذه الشروط السماح له ولاتباعه بالهجرة الى المشرق، فوافاه الدوق دومال في الغزوات حيث وقعا في 27 ديسمبر 1847 وثيقة التسليم ، فقال الامير عندها:"لا اري الى التسليم لقضاء الله والرضا به".

وكان الأمير يأمل أن يذهب إلى الإسكندرية أو عكاكما هو متفق عليه مع القادة الفرنسيين، ولكن أمله خاب ولم يف الفرنسيون بوعدهم ككلمرة، عندها تمنى الأمير الموت في ساحة الوغى على أن يحدث له ذلك وقد عبّر عن أسفههذا بهذه الكلمات" لو كنا نعلم

أن الحال يؤدي إلى ما آلإليه، لم نترك القتال حتى ينقضي الأجل ." وبعدها نقل الأمير وعائلته إلىالإقامة في "لازاريت" ومنها إلى حصن "لامالغ" بتاريخ 10 جانفي 1848 ولما اكتمل عددالمعتقلين من أفراد عائلته وأعوانه نقل الأمير إلى مدينة "بو PAU " في نهاية شهرأفريل من نفس العام، ليستقر بها إلى حين نقل إلى آمبواز في 16 أكتوبر 1852

الخلاصة:

اجتمعت عدة عوامل الى فشل مقاومة الامير عبد القادر ولعل من اهمها تشتت المقاومة بين غربها وشرقها ، وعدم توحيد الجهود وتنسيقها بينه وبين مقاومة احمد باي ، ورغم ذلك استطاع الامير عبد القادر طيلة 17 سنة من المقاومة ارساء قواعد الدولة الجزائرية الحديثة تكوين جيش منظم حقق كثير من الانتصارات على القوات الفرنسية.

المحاضرة السابعة: باقي المقاومات الشعبية المسلحة.

تمهيد

إثر فشل مقاومتي الامير عبد القادر واحمد باي ،شهدت الجزائر ثورات شعبية ذات طابع اقليمي جهوي، ولم تكن في مستوى التنظيم والشمولية كما كانت للأمير واحمد باي.

1-ثورة الزعاطشة

دامت أزيد من أربعة اشهر من 16 جويلية 1849 الى 26نوفمبر 1849، ووصل الفرنسيون الى الزعاطشة يوم 16 جويلية 1849 تحت قيادة العقيد "كاربوسيا" حيث شدد الحصار على الواحات ، لخنق الثورة واخمادها في مهدها ، والقضاء على قائدها الشيخ بوزيان ، غير انه فوجئ بصمود الثوار، الذين امطروا القوات الفرنسية بوابل من الرصاص قضت على 31 جنديا فرنسيا وجرح مالا يقل عن 117 ، فاضطر العقيد كربوسيا الى سحب قواته تحت ضربات سرايا مجاهدي اولاد نائل و بوسعادة والمسيلة ممن التحقوا بإخوانهم في الزعاطشة.

باشر الجنرال "هيربيون" بتجميع قواته المقدرة بأربعة الاف واربع مائة وثلاثة وتسعين (4493) جنديا بالكدية المائدة المحاذية لبلدة الزعاطشة يوم 07 أكتوبر 1849 صباحا ، ثم احتل الزاوية القريبة من الكدية وسيطر على الطرق المؤدية الى واحة الزعاطشة لاسيما الطريق الرابط بين طولقة و الزعاطشة حتى يحول دون وصول الإمدادات ، ثم اعطيت الاوامر للمدفيعة بقصف الاسوار لإحداث ثغرة فيها، الا ان المقاومة المستميتة اجبرت القوات الفرنسية على التراجع بعد ان خسروا 35 قتيلا من بينهم ضابط و 147 جريحا ، ثم تمكن الفرنسيون بواسطة المدفعية احتلال الزاوية ورفع العلم من على مئذنتها . ورغم ذلك واصل الشيخ بوزيان شحذ همم المجاهدين وأرسل رسله خفية الى قبائل بوسعادة واولاد نائل طالبا منهم المدد.

طالب الجنرال "هيربيون" من الادارة الاستعمارية المركزيةفي الجزائر وصدرت الاوامر للطوابير المحاصرين من معاودة الهجوم يوم 26نوفمبر 1849 بثمانية الاف من الجند يقودهم الضابط "بارال" والعقيد "كانروبار" و العقيد "دومانتال" ، ناهيك عن العتاد الحربي، في حين ضربت بقية القوات حصارا خانقا على الواحة بما فيهم الاطفال و النساء والشيوخ وقطع اشجار النخيل مصدر رزق السكان ، وحرق المنازل رغم ذلك صمد السكان ،حوالي الساعة التاسعة صباحا ،في 26نوفمبر1849 واهتز العالم و الجزائر لمجزرة الزعاطشةبليشانة ، الذي اقترفها الجنرال "هيربيون" وجنوده وضباطه في حق سكانها العزل فبعد تعرض للضربات جدران القرية ،وقطع أزيد آلاف نخلة، تمكنت القوات الفرنسية من اقتحام القرية، يقاتلون جنبا لجنب مع الرجال في كل الشوارع والازقة ، والقى القبض على الشيخ أحمد بوزيان زعيم الزعاطشة ،وإبنه الذي لا يتجاوز السادسة عشر والشيخ موسي الدرقاوي، في يوم 26نوفمبر 1849، وقطعت رؤوسهم بعد ذلك ،وعُلقت على ابواب مدينة بسكرة لعدة ايام ، ثم نقلت الى القسم الانترولوجي بمتحف اللوفر بفرنسا.

2-مقاومة بلاد القبائل

واجهت قوات الاحتلال الفرنسي مقاومة عنيفة بمنطقة القبائل قادها الشريف بومعزة ثم الشريف بوبغلة، وواصلت الكفاح لالا فاطمة نسومر الى غاية سنة 1857.

أ-ثورة الشريف بومعزة

هو الشريف محمد الهاضمي(محمد بن عبد الله بوسيف)قاوم في صفوف الامير عبد القادر، دخل منطقة الزواوة في سبتمبر 1849 لعدم خضوعها للسيطرة الفرنسية،أجرى اتصالات بزعماء زواوة خاصة مع سيدي الجوادي الذي سهل مهمته، فأعلن الجهاد ضد الفرنسيين وواجههم في اشتباكات عديدة ، مما اجبر الفرنسيين الاستنجاد بالقوات المرابطة بسور

الغزلان ، وفي معركة حاسمة مع القائد "بوبريتر" في اكتوبر 1850 استشهد بومعزة وقطعت رأسه وعلقت في سوق سور الغزلان.

ب-ثورة الشريف بوبغلة

بعد استشهاد بومعزة ظهر زعيم آخر يدعى الشريف بوبغلة واسمه الحقيقي محمد الامجد بن عبد الله ، استقر في البداية بسور الغزلان ثم انتقل الى منطقة القبائل وأعلن الجهاد ، استطاع بحنكته ودهائه أن يجمع زعماء قبائل الزواوة وطلبة الزوايا وبايعه الناس. هاجم في البداية عملاء فرنسا بدءا ببن علي الشريف بزاوية شلاطة في مارس 1851، وبعدها شن هجوما على مدينة بجاية في 10 ماي 1851 ولولا وصول النجدات الى الفرنسيين لسقطت بجاية في يد بوبغلة، كما حقق انتصارات في المعارك ضد قوات النقيب"بوشو" فيمعركة بوغني في 18 اوت 1851، وشملت مقاومته منطقة القبائل.

ورغم ضغط القوات الفرنسية واقرار الحاكم العام "راندون" وبالتعاون مع باشاغات المنطقة كابن علي الشريف وبلقاسم اوقاسي، دافع سكان القبائل بقيادة بوبغلة بسالة عن الارض، ومن بني مليكش واصل بوبغلةجهاده الى ان قتل يوم 26 ديسمبر 1854 غدرا في كمين دبر له في بني عباس.

ج-مقاومة لالا فاطمة نسومر

واصلت فاطمة نسومر المقاومة بين سنتي 1855 و1857 وهي ابنة الشيخ سيدي محمد بن عيسى مقدم زاوية "أحمد امزيان" شيخ الطريقة الرحمانية، ولدت في قرية ورجة بعين الحمام سنة 1830، وبعد وفاة والدها انتقلت الى قرية نسومر، ومنذ ذلك اصبحت تحمل اسم " لالا فاطمة نسومر" . انضمت الى جهاد الشريف بوبغلة، وبعد استشهاده حملت راية الجهاد فكان لزعامتها تأثير على سكان المنطقة، فانضم اليها الحاج عمر شيخ الزاوية الرحمانية وسي الجودي والصادق بن اعراب.قادت العديد من المعارك ضد القوات

الفرنسية أهمها معركة ايشريضن في 24 جوان 1857، وأمام عزيمة الحاكم العام راندون في اخضاع منطقة الجرجرة وانهاء المقاومة، جهز حملة كبيرة وباشر في مهاجمة القبائل مستعملا سياسةالقتل والحرق ، والقى عليها القبض واسرت في 11 جويلية 1857، وسجنت بتابلاط وتوفيت سنة 1863 عن عمر يناهز 33سنة ، فتم السيطرة على بلاد القبائل .

3-ثورة المقراني والشيخ الحداد

اندلعت الثورة سنة 1871 في ظروف محلية ودولية متميزة ، اثارت ذعرا للفرنسيين والمستوطنين ، و شملت ثورة المقراني والشيخ الحداد ، مناطق واسعة من شرقها حتى وسطها ، ومن سوق اهراس حتى شرشال وملیانة،ومن سواحل المتوسط حتى اعماق الصحراء، فعملت فرنسا على تحطيم نفوذ العلاقات الجزائرية الكبرى،فقد كان محمد المقراني باشاغا على منطقة مجانة (دائرة برج بوعريريج اليوم)، ثم اصبح عضوا فيالمجلس البلدي ،استغل المقراني الفوضى السياسية في فرنسا والتي اعقبت هزيمتها امام بروسيا فأرسل انصاره الى مختلف نواحي البلاد لبث اخبار الهزيمة والاتصال مع زعماء القبائل، وبعد اجتماعات بين 10 و 15 مارس 1871، تقرر اعلان الثورة وذلك في 16 مارس وحدد الزحف على مدينة برج بوعريريج وفرض الحصار عليها ، ووجه اخوه بومرزاق الى ونوغة لقيادة الثورة.

وقد اعطى للثورة قوة واندفاعا انضمام الشيخ محمد امزيان الحداد في 8 افريل 1871 مقدم زاوية صدوق، وابنيه سي عزيز وسي محمد، فنجد ما يقارب 120 الفمجاهد، فشكل الرحمانيون جبهة قوية في هذه المقاومة، وبعد معارك طاحنة في البابور وسطيف والاوراس والبويرة، استشهد المقراني في 5 ماي 1871 في معركة وادي سوفلات بعين بسام، فاستمرتالمقاومة على يد اخيه بومزراق بعد استسلام اسرة الحداد (سي عزيز في

30 جوان 1871، وسي محمد سُلم الى حاكم بجاية، أما الشيخ الحداد القى عليه القبض في 13 جويلية 1871).

خاض بومرزاق المقاومة وبعد المعارك في وادي الصومام والقلعة وغيرها انسحب الى الحضنة،وخاض معركة سيدي ابراهيم بوبكر في 25 أوت 1871، وفي اكتوبر 1871 فرضت القوات الفرنسية حصارا شديدا على الثوار فاتجه بومرزاق الى الصحراء وعُثر عليه في 20 جانفي 1872 بمنطقة الرويسات- ورقلة في حالة اغماء ،وباعتقاله انتهت الثورة التي رغم قصرها زمنيا الا انها كانت الاخطر على الوجود الفرنسي في الجزائر.

4-مقاومة أولاد سيدي الشيخ

سكنت أسرة اولاد سيدي الشيخ بمنطقة الجنوب الوهراني ، وتنتسب الى الخليفة أبو بكري الصديق، اجتهد الفرنسيون في اخضاعها ، وقد قسمت معاهدة لالا مغنية 1845 بين فرنسا والمغرب الاسرة الى فرعين الشراقة والغرابة ، وتأرجحت العلاقة بينهما بين التعاون والتنافس مما أدى الى اتصال بالفرنسيين بهم بحثا عن الزعامة .

انطلقت ثورتهم من واحة البيض واتسعت حتى الجنوب الوهراني والتيطري، واندلعت نتيجة لسوء سياسة المكاتب العربية تجاه السكان والضرائب ومصادرة الاملاك، وتعمد الادارة الفرنسية اهانة عائلة اولاد سيدي الشيخ في الابيض سيدي الشيخ على إثر حادثة وقعت في 29 جانفي 1864، فأعلن سي سليمان الثورة ضد الفرنسيين فانتشرت في الجنوب الغربي واستمرت الى سنة1880.

5-مقاومة الشيخ بوعمامة

ينتمي الشيخ بوعمامة بن العربي بن التاج الى فرع اولاد سيديالشيخ الغرابة الذين استقروا بالمغرب، نشا في اسرة متدينة، بنى الزاوية الشيخية وازداد نفوذه في منطقة عين الصفراء وراهنت عليه القبائل لإعلان الجهاد ضد الفرنسيين، فانطلقت الثورة من عين

الصفراء في 22افريل 1881 مستغلة انشغال فرنسا باحتلال تونس واتسعت الى عين صالح والهقار ووهران .

عرفت الثورة مرحلتين المرحلة الاولى (1881-1883) ، تميزت باحتدام المواجهات العسكرية فكانت مواجهة عين الصفراء في 27افريل 1881انهزم فيها الجيش الفرنسي، وأما المرحلة الثانية (1883-1908) عرفت فتورا نسبيا تميزت في محاولة فرنسا استقطاب القبائل للتفاوض وكسب ودهم ، لكن بوعمامة تفطن وغادر التراب المغربي ، فاعتقلت القوات المغربية ابنه سي الطيب ، وواصل بوعمامة المقاومة رافضا الاستسلام الى ان توفي سنة 1908.

6-مقاومة عين التركي

قادها يعقوب بن الحاج في قرية عين التركي سنة 1901، وتعرف هذه الثورة باسم ثورة مليانة ،وقمعتها القوات الفرنسية بقوة الحديد والنار.

7-مقاومة التوارق

قاوم الطوراق الاستعمار الفرنسي بقيادة الشيخ آمودأغ المختار في الصحراء الجزائرية منذ دخوله اياها، وكان اول احتكاك للطوراق مع الاستعمار الفرنسي سنة 1881 بجملة من معارك أهمها معركة "بئر الغرامة" التي قتل فيها الكوماندان الفرنسي "فلاتير" وقد اثر مقتله على نفوس القادة الفرنسيين الذين لم يعودوا للمنطقة الا سنة 1889. وقد نشبت بعد ذلك معارك بين الطوارق والاستعمار الفرنسي من أهمها معركة اليزي سنة 1904، ومعركة جانت 1909.

وبعد احتلال الفرنسيين لتمنراست سنة 1911، جرت معارك اخرى بين الاستعمار الفرنسي والطوارق منها: معركة ايسين في افريل 1913، ومعارك اخرى في عين صالح وتمنراست وعين ايمجن سنة 1916، واستمرت مقاومة الطوارق في الصحراء الغربية الى

غاية 1923، وامام الزحف المتواصل للجيش الفرنسي المدجج بالأسلحة الحديثة والامدادات الكبيرة، اجبر المجاهدون الطوارق بقيادة الشيخ آمودأغ المختار على مغادرة المنطقة الى منطقة فزان بليبيا في 1923، ليستقروا بها الى جانب المجاهدين الليبيين الى ان توفي الشيخ آمودأغ المختار سنة 1928.

الخلاصة:

عموما فإنه رغم فشل مختلف المقاومات الشعبية المسلحة في الوصول الى الهدف الاستراتيجي في طرد المستعمر الفرنسي من الجزائر، إلا أنها استطاعت ان تحافظ على مقومات الشخصية الجزائرية لتلغي بذلك الاطروحة الفرنسية القائلة «أن فرنسا تحتل الجزائر بدون مقاومة مسلحة".

المحاضرة الثامنة: السياسة الفرنسية في الجزائر بين النظام العسكري و سياسة نابليون الثالث 1830-1870.

تمهيد

منذ أن احتل الفرنسيون مدينة الجزائر في جويلية 1830 والى غاية سنة 1870 ،اتبعت الادارة الفرنسية نظاما عسكريا في تسيير شؤون الجزائر ، ولكن سياستها لم تكن واضحة المعالم ، نظرا لظروف الاحتلال والتصرفات الارتجالية للقادة العسكريين ، لذلك لم تعرف الجزائر استقرارا في ظل الحكم العسكري .

1-الحكم العسكري في الجزائر

بعد سقوط مدينة الجزائر ظهرت النوايا الحقيقة للاحتلال الفرنسي ، وتم تكليف الحكام العسكرين بتسيير دواليب الحكم ، فأنشا الجنرال "دي برومون"بمدينة الجزائر لجنة حكومية لتسيير الشؤون الجزائرية، ولما تولى الجنرال "كلوزال" منصب قيادة القوات الوطنية في اكتوبر 1830 أنشا لجنة حكومية جديدة مختصة في مجالات محددة هي العدالة والداخلية والمالية ولكنها فشلت فشلا ذريعا مثل اللجنة الاولى . وعليه أصدرت الحكومة الفرنسية مرسوما ملكيا في سبتمبر 1831 يتضمن فصل القضايا العسكرية والامنية عن المسائل المدينة كالتالي:

-المسؤول الاداري والمالي المدني: ويتم تعينه من قبل رئيس مجلس الوزراء يشرف على تسيير المسائل المدنية والمالية وشؤون الموظفين.

-مسؤول وحدات الاحتلال في افريقيا: له صلاحيات واسعة ويشرف على كلما يتعلق بالعمليات العسكرية وقضايا حفظ الامن وحماية الممتلكات الفرنسية في افريقيا.

-مسؤول الادارة: او مجلس الادارة ورئيسه وهو رئيس الاحتلال في افريقيا ونائبه المسؤول الاداري والمالي المدني.

وبعد ثلاث سنوات من سيطرة العسكريين وما نتج عنها من تهميش للمسؤولين المدنيين الفرنسيين من مهام التسيير، نتج عنها شكاوى واحتجاجات كانت مبررا كافيا لتنصيب لجنة تحقيق حول قضية الجزائر، وطُرحت عدة اسئلة أبرزها: هل يجب البقاء في الجزائر اولا، واذا كان لا بد من الاحتفاظ عليها فما هي الطريقة المثلى لذلك ؟ فشُكلت لجنة تحقيق سميت بـ"**اللجنة الافريقة**" ترأسها "ديكازيس" عضو مجلس الشيوخ الفرنسي وقامت بتحقيق ميداني في الفترة ما بين 2 سبتمبر 1833 و 25 اكتوبر 1833، ثم عادت الى فرنسا في 9 نوفمبر 1833 وأوصت في تقرير رفعته للسلطات الفرنسية بضرورة بسط كامل السيادة الفرنسية والسيطرة على الجزائر واستغلال ثرواتها، ثم أنشأت الحكومة الفرنسية لجنة ثانية للنظر في الاقتراحات ، فأكدت ضرورة الاحتفاظ بالجزائر وبسط سيادتها وأطلقت عليها اسم " الممتلكات الفرنسية في شمال افريقيا".

ويمكن تلخيص التقرير الذي صاغته لجنة التحقيق في 10 مارس 1834 في النقاط التالية:

-استحداث منصب الحاكم العام المشرف على تسيير الشؤون المدنية والعسكرية في الجزائر.

-منح الصلاحيات للحاكم العام وادخال عناصر جزائرية الى المجلس البلدي.

-انشاء مجالس بلدية في الجزائر ، وهران و عنابة.

-تخصيص ميزانية للجزائر.

وبذلك خضعت الجزائر للإدارة العسكرية الفرنسية، وواصل الحكام العسكريون سياسة الاضطهاد والنهب ومصادرة الاملاك وتشجيع سياسة الاستيطان.

2-التنظيم الاداري بالجزائر

تشكل التنظيم الاداري الفرنسي في الجزائر في الفترة الممتدة من 1830 الى 1870 من:

2-1-المكاتب العربية

أنشأت المكاتب العربية سنة 1833 في عهد الجنرال "دي روفيقو" لإدارة حكم المناطق العربية وجمع المعلومات والضرائب وتسيير مختلف الشؤون الادارية ، معتمدين على المترجمين والمختصين في الشؤون العربية ، وعين النقيب "لامورسيار"أول رئيس للمكتب، ونظرا لازدياد دور هذه المكاتب العربية قرر الجنرال "بوجو" في سنة 1844 أن يؤسسها بصفة رسمية ويضع لها الهياكل الادارية ويجعلها في خدمة الجيش الفرنسي، فأنشأت ادارت فرعية لها على مستوى المقاطعات، وفي كل مقاطعة أنشأت وحدات للمكاتب العربية من الدرجة الاولى و وحدات من الدرجة الثانية، وبذلك توسع نشاط هذه المكاتب وتحولت إلى إدارة محلية للتحكم في السكان الجزائريين، ووصل عدد المكاتب سنة 1865 في مقاطعة الجزائر 14 مكتبا ومقاطعة قسنطينة 15 مكتبا ومقاطعة وهران 12 مكتبا . وتتشكل المكاتب في كل مقاطعة من (مدير،ضابط مسؤول عن الصحة، مترجمان ، كاتب عربي"خوجة" ،حاجبان،..الخ) ويساعدها القياد ورؤساء العشائر.

ولما ازداد نفوذ المكاتب العربية اصبح دور المسؤولين في تعيين وخلع المسؤولين المحليين وجمع الضرائب واستصدار قرارات في المسائل الشرعية والقضائية وتنفيذها.

ونظرا لازدياد نفوذهم وتدعيمهم للجيش ،شن المعمرون حملة شعواء ضد المكاتب العربية واتهموها بالتواطؤ .

وبمجرد سقوط الامبراطورية وانهزام نابليون الثالث سنة 1870 ،تم حل المكاتب العربية بقرارين 24 اكتوبر 1870 و10نوفمبر 1840،وتحولت المناطق الشمالية الى مناطق مدنية ،في حين بقيت المناطق الجنوبية الصحراوية خاضعة للنظام العسكري ولنفوذ المكاتب العربية.

2-2-العمالات والبلديات

في الفترة الممتدة ما بين 1830 و1845 كانت الجزائر خاضعة لسيطرة الجيش الفرنسي وسلطته، وابتداء من 15 افريل 1845 صدر مرسوم ملكي يقضي بإنشاء حكم مدني في المناطق التي توجد بها الجاليات الاوروبية ، كما تقرر إنشاء ثلاثة مقاطعات بالجزائر وهي: الجزائر ، وهران ، وقسنطينة، في كل مقاطعة اراضي خاضعة للحكم المدني، واخرى خاضعة للحكم العسكري و اراضي مختلطة، وجاء هذا التنظيم لوضع حد لسلطة الجيش الفرنسي ووضع السلطة في يد المعمرين، ولهذا لم يعرف هذا التنظيم تجسيدا حقيقيا ، الا بعد استقالة الجنرال بيجو من منصبه سنة 1847، فجاءت سنة 1848حيث استفاد المستوطنون من الثورة التي اقرت التجسيد الفعلي للنظام المدني. وابتداء من 9ديسمبر 1848 قررت الحكومة الفرنسية تطبيق نفس النظام السياسي والاداري الموجود في فرنسا ،وفي سنة 1862 تقرر الغاء المقاطعات الادارية واستبدالها بنظام العمالات ، المعمول به في فرنسا.

وأما التنظيم البلدي فقد بدأ محدودا ثم توسع تدريجيا، وكانت مقاعد المجالس البلدية بالمناطق المدنية تضم ثلثين من المستوطنين والثلث الآخر للأهالي المعينين واليهود .

وفي 1848 أقرت الحكومة الفرنسية تغيير أسلوب التعبين الى انتخابات فاصبح الجيش يتدخل في تزوير الانتخابات ، كما ان البلديات قد اصابها الافلاس نتيجة عدم وجود مداخيل مالية ، إلى أن جاء نابليون الثالث وقرر في 27 ديسمبر 1866 تغيير أسلوب الانتخابات بتعيين رئيس البلدية ونوابه، في حين يقوم رئيس العمالة بتعيين بقية اعضاء المجلس البلدي لمدة 5سنوات.

3-سياسة نابليون الثالث

منذ اعلان نابليون الثالث نفسه امبراطورا على فرنسا في نوفمبر 1852، قرر اتباع سياسة خاصة له، تهدف الى كسب رضا المستوطنين والعسكريين والمحافظة على الامن والاستقرار.

وقد أكد لمستوطني الجزائر فكرة ادماج الجزائر، وكان يخطط للانفراد بالسلطة وانشاء وزارة خاصة بالشؤون الجزائرية يشرف عليها ابن اخيه الامير جيروم نابليون الذي كان بالغ الأثر على سياسة عمه . كما استحدث مجلسا أعلى الى جانبه ومجالس اقليمية في كل مقاطعة وعمم النظام المدني ولم يبق للسلطات العسكرية سوى منصب القيادة العليا للقوات البرية والبحرية التي تولاها " ماكماهون" .

ورغم ان السلطة اصبحت مركزية ومدينة، الا أن الامير جيروم اصطدم بسياسة الامبراطور وبمعارضة العسكريين بالجزائر، فتنازل عن منصب وزارة الجزائر والمتسعمرات في 7مارس 1859 ليتولاها " شاسلوبا" ، وانتهى الامر بإلغاء هذا النظام وعوض بنظام الحكومة العامة في ديسمبر 1860 ، والذي جعل ادارة الجزائر تحت رئاسة الحاكم العام للقوات البرية والبحرية الذي يخضع لسلطة الامبراطور، وتم تعيين الماريشال"بيليسيي" حاكما عسكريا وعاد الحكم العسكري الى الجزائر من جديد.

وفي ظل هذا النظام كان الامبراطور يفكر في سياسة جديدة بالجزائر ، خاصة بعد زيارته للجزائر سنة 1860 واطلاعه على ما يجري من قرب ، وقد انشغل تفكيره بمشكلة الملكية الشخصية للأراضي الخاصة بالجزائريين ، بعد أن اشتدت عمليات المصادرة ، فرأى أن يقر ملكيتهم على الاراضي التي يملكونها ويهتم المعمرون الاوروبيون بالغابات والصناعة والمعادن، وامر بإيقاف حركة الهجرة الى الجزائر ، واقنع مجلس الشيوخ بإصدار قرار في 22 افريل 1863 القاضي بتمليك الجزائريين الاراضي التي يحوزونها،

ووجه رسالة الى الماريشال"بليسيي" يأمره بتطبيق هذه السياسة قائلا:" ان الجزائر مملكة عربية ، وانا امبراطور العرب مثلما انا امبراطور الفرنسيين".

تعددت الدوافع والاسباب التي دفعت نابليون الثالث لانتهاج هذه السياسة التي تبدو ظاهريا في صالح الجزائريين ،فربما لكرهه الشديد للأطماعالمتزايدة لمستوطني الجزائر ، وقد تكون السبب الرئيسي في ذلك .

وعموما جلبت هذه السياسة على نابليون عداء العسكريين الذين لم يطبقوا هذه السياسة ميدانيا، كما غضب المستوطنون فأظهروا له الاستياء جراء عدم قبولهم لها.

ونتيجة لهذه الاوضاع ، عزم نابليون القيام بزيارة ثانية الى الجزائر في ماي 1865 ليطلع بنفسه على مشاكلها، وعند عودته الى فرنسا حرر رسالة مطولة لخص فيها سياسته الجديدة وأرسلها الى الحاكم "ماكماهون" في 20 جوان 1865، انتقد فيها أمورا كثيرة ، مدعيا أنه طيلة تواجد الفرنسيين في الجزائر طُبّق أكثر من 15نظاما ، لم ينتج عنه سوى الغموض ولذلك حان الوقت لاعتماد النظام المدني واتباع سياسة التعايش مع العرب والعمل على تعليمهم وتمدينهم ، ومعاملتهم على أساس رعايا فرنسيين وفسح الجمال للراغبين منهم في الحصول على الجنسية الفرنسية، كما أمر مجلس الشيوخ "سيناتوسكونسلت" بإصدار قرار بهذا الامر،وفعلا صدر هذا القرار في 14جويلية 1865 وحدد فيه كيفية الحصول على الجنسية الفرنسية وشروطها التي كانت قاسية وغير مقبولة للجزائريين.

أبدى المتسوطنون تذمرهم لهذه السياسة النابليونية الجديدة فشنوا حملة ضد نابليون الثالث ، كما لم يخف الحاكم العام " ماكماهون" معارضته أيضا، ولم يقبل الجزائريون التخلي عن أحوالهم الشخصية ، وبالمقابل لم تكن الإدارة الفرنسية مستعدة لمنح الجنسية لأعداد كبيرة للجزائريين المسلمين، وعليه لم يتمكن نابليون من تحقيق إصلاحاته في

الجزائر،فانتهى النظام العسكري بمجرد سقوط الإمبراطورية الثالثة في جويلية 1870، ليفتح المجال للنظام المدني بموجب مرسوم صُدر في 8 أكتوبر 1870.

الخلاصة:

يمكن القول أن اصلاحات نابليون الثالث لم تكن إصلاحات حقيقية، وقد تمكن المستوطنون من فرض أنفسهم على فرنسا بمجرد سقوط الامبراطورية سنة 1870، لتلغي النظام العسكري وتقيم النظام المدني الذي سوف يفتح لهم المجال لفرض سيطرتهم على الجزائر.

المحاضرة التاسعة: سياسة الجمهورية الثالثة في الجزائر 1870-1900.

تمهيد

كان الصراع السياسي على السلطة قائما بين المعمرين الأوروبيين والجيش إلى غاية سنة 1870، وبمجرد انهزام نابليون الثالث في معركة سيدان ضد المانيا والاطاحة بحكومته في 2 سبتمبر 1870، مالت الكفة لصالح المعمرين الذين استولوا على السلطة في الجزائر بعد مجيء حكومة الدفاع الوطني التي اتخذت اجراءات لصالحهم .

وقاد هذا النشاط "ادولف كريميو" بعد تعيينه وزيرا للعدل في حكومة الدفاع الوطني، وتمثلت السياسة الجديدة في إدماج الجزائر في فرنسا وانتقال السلطة من العسكريين الى المستوطنين المدنيين ، فأصدر 36مرسوما تتعلق بالجزائر، لتحقيق مطالب المستوطنين الأوروبيين وتكريس هيمنتهم في جميع الميادين ومنح الجنسية الفرنسية لليهود بمقتضى مرسوم 24 اكتوبر 1870.

1-التحولات السياسية في عهد الجمهورية الثالثة

صدرت سنة 1870 عدة مراسيم أوضحت سياسة الجمهورية الفرنسية الثالثة بالجزائر، وهدفت إلى تقوية نفوذ المستوطنين بالبرلمان الفرنسي وتوسيع الحكم المدني في المناطق التي كانت خاضعة للمكاتب العربية، وإنشاء منصب الحاكم العام المدني الذي توضع تحت تصرفه عمالات الجزائر الثلاث .

سعى المستوطنون في وضع سياسة جديدة لمستقبل الجزائر للحفاظ على نفوذهم ومصالحهم ،فقام ممثلوهم في البرلمان الفرنسي بالضغط على الحكومة الفرنسية مستغلين في ذلك هجرة سكان الألزاس و اللورين الى الجزائر فقرر البرلمان في 21 جوان 1871 منح هؤلاء اللاجئين 100 ألاف هكتار من أخصب الاراضي في الجزائر، وأجبروا الحاكم

العام "دوقيدون" للخضوع لإرادتهم ،هذا الاخير واجه صعوبات من كلا الطرفين، فالمعمرون ارادوا ان يتحكموا فيه ويخضعوه لإرادتهم والقادة العسكريون في الجزائر انكروا عليه المنصب ، الا انه تمكن من النجاح في تطبيق سياسته الرامية في تسيير الشؤون الجزائرية وفق القوانين الخاصة بها وغير تابعة للقوانين الفرنسية وقد رفض منح الجزائريين الجنسية الفرنسية وشجع حركة الهجرة الى الجزائر، وعارض تطبيق الشريعة الاسلامية والقضاء الذي يحتكم اليه الجزائريون ،ولا يوافق على وجود مدارس عربية-فرنسية.

ومن القرارات التي اتخذها "دوقيدون" قرار 5جويلية 1871 والمتعلق بمصادرة الاراضي التابعة للأعراش والتي يملكها الافراد ، وذلك لتسليمها للنازحين الالزاسيين.

2-سياسة الاستيطان وفرض قانون الأهالي

تواصلت سياسة الاستبطان خلال فترة حكومة الجمهورية الفرنسية الثالثة بترحيل سكان الألزاس واللورين الى الجزائر، ومصادرة 340 ألاف هكتار من الاراضي الجزائرية ومنحها للمهاجرين الأوروبيين.

ومن اجل تحطيم نظام الملكية الزراعية ، صدر قرار في 26جويلية 1873 أباح للمستوطنين حق التصرف في الاراضي الجزائريين والذي عرف بقانون "فارني" الذي عطل مهنة القاضي وأحل الموثق الفرنسي محله، وتقرر إنشاء مصالح خاصة لإثبات عقود الملكية الخاصة في كل ولاية بالجزائر ، وبذلك تم بناء 248 مركز استيطاني في الفترة ما بين 1871 و 1895 ، وبدأت سياسة طرد الجزائريين من اراضيهم وتحويل المناطق العسكرية الى مناطق للمستوطنين ، فارتفعت عدد البلديات المدنية من 126 بلدية سنة 1873، الى 249 بلدية سنة 1891، ومن ثم تشجيع الهجرة الاوروبية الى الجزائر ومنح الامتيازات لهم.

شجع المستوطنون سن قانون الاهالي في 26 جوان 1881، باعتباره من القوانين الاستثنائية التي فرضت على الجزائريين على فترات، والتي تقتضي منهم اظهار الطاعة والخضوع الكلي للمستوطنين ، كما تسلط عليهم انواع كثيرة من العقوبات مثل السجن الاراضي وفرض الضرائب وعمل السخرة وغيرها، وعمم على كل المناطق العسكرية والمدنية وفي البلديات الكاملة والمختلطة ومنحت لرؤساء البلديات سلطة اتخاذ ما يرونه مناسبا.

3-السياسة القضائية والتعليمية

تميزت سياسة الجمهورية الثالثة في هذه المرحلة بإنهاء العمل بالقوانين الجزائرية المستمدة من الشريعة الاسلامية وإحلال القوانين الفرنسية ملحها تدريجيا، فمنذ سنة 1866 صدر مرسوم يفرض على الجزائريين المسلمين التقاضي لدى المحاكم الفرنسية ، واقتصرت مهمة القضاة المسلمين على تنفيذ الاحكام فقط، وصدر سنة 1873 مرسوم نزع القضاة المسلمين حق النظر في قضايا الملكية ، وبعدها بسنة تم إصدار أمر يلغي المحاكم الاسلامية في منطقة القبائل ، وتقرر ألا يتواجد أي جزائري مسلم في لجان المحكمات القضائية بدعوى أن المسلمين ليسوا حازمين في معاقبة المسلمين . وأنيطت بالموثقين الفرنسيين مهمة توثيق القضايا وتطبيق الفرائض تسجل العقود بدلا من القضاة الشرعيين.

وهكذا بدأ التهجم حتى على أحكام الأحوال الشخصية للمسلمين، ثم حاولت السلطات الفرنسية بعد أن عطلت جهاز القضاء الاسلامي وشوهتأحكامه ، فشكلت في سنة 1905 لجنة إعداد مشروع تمهيدي لتقنين الشريعة الاسلامية الخاصة بالأحوال الشخصية.

أما في ميدان التعليم اعتبر المعمرون مشاريع نابليون الثالث في تعليم الجزائريين خطرا داهما على تواجدهم بالجزائر ، فحاربوا هذه المشاريع وأغلقوا المدارس العربية-

الفرنسية وبذلك عرف مشروع تعليم أبناء الجزائريين تراجعا كبيرا ، عما كانت عليه قبل سنة 1870، ولم يكن عدد الجزائريين في جميع مراحل التعليم سنة 1882 اكثر من 3172 تلميذ جزائري ، وفي سنة 1902 كانت نسية المتمدرسين من أبناء الجزائريين 4%.

ولم يكتف المعمرون بذلك بل حاربوا مشاريع الكاردينال لافيجري الهادفة الى تعليم ابناء المسيحين التعليم الكاثوليكي ، لانهم يؤمنون بالتعليم اللائكي في الجزائر وكان حقدهم اكبر على المساجد والزوايا.

4-سياسة جول فيري

تمادى المستوطنون خلال فترة الجمهورية الثالثة في فرض سيطرتهم السياسية والاقتصادية في الجزائر حتى وصل بهم الحال الضغط على الحكومة الفرنسية من أجل وضع حد للمشاريع التي تشكل خطرا على مصالح فرنسا وعلى الجزائريين، فتجسدت أحلامهم في 16 مارس 1891 لما طلب النائب "جول فيري"بإنشاء لجنة برلمانية تتشكل من 18 عضو لوضع قانون خاص بالجزائر، كما تعين "جول كامبون" حاكما عاما على الجزائر ، رغم معارضة المستوطنين في مجلس الشيوخ لتلك السياسة ، فتدخلوا بنفوذهم للتأثير على لجنة التحقيق البرلمانية، فتقرر تشكيل لجنة ثانيةمن اعضاء مجلس الشيوخ برئاسة "جول فيري".

اطلعت لجنة "جول فيري" على أوضاع الجزائر ومشاكلها، وحققت كثيرا من القضايا واستمع اعضاؤها طيلة ما يقارب الشهرين الى مختلف الشخصيات عبر 102 منطقة ،وخلص رئيس اللجنة بقوله:" إن ما عمله المستوطنون يلطخ سمعة فرنسا، و لا توجد عدالة ولا سياسة واعية".

ومن الشخصيات الجزائرية المشاركة في اللجنة الدكتور "محمد بن العربي" النائب ببلدية الجزائر و"محمد بن رحال" والتي ناقشت مواضيع الاصلاح ، وصاغت اللجنة مقترحاتها التي اشتملت على 18 بندا وقدمتها لمجلس الشيوخ ، وبعد مناقشة دامت ثلاث سنوات (1893-1896) تمكن التيار الاستعماري من تمييع هذه القرارات ، ليصدر المجلس بعض القرارات غير المجدية بالنسبة للجزائريين . وفي سنة 1898 جاء الاصلاح في صالح المستوطنين، بحيث حققوا مطالبهم في الاستقلال المالي بالجزائر وانشاء مجلس لتسيير شؤون الجزائر الذي أصبح اداة للسلطة في يد المستوطنين.

الخلاصة:

ان سياسة الجمهورية الفرنسية الثالثة في الجزائر مرت بمرحلتين رئيسيتين ، الاولى تميزت بانطلاق يد المستوطنين في التحكم وسن القوانين في غير صالح الجزائريين، والثانية خلال فترة "جول كامبون وجول فيري" والتي هدفت الى التقرب من النخب الجزائرية لتسهيل الاحتلال والسيطرة واشتراك المستوطنين في إدراة الجزائر، ونجحوا في هذه السياسة في السيطرة على الجزائر والتصرف فيها.

المحاضرة العاشرة: الجزائر والحرب العالمية الأولى 1914-1918

إن النزعة الاستعمارية التي طبعت السياسة الفرنسية خلال القرن التاسع عشر والقرن العشرين ،ولّدت لدى قادة الإمبراطورية الفرنسية الحاجة إلى توفير قوة عسكرية يقع على عاتقها أداء المهام التي تتطلبها المغامرات الاستعمارية داخل وخارج إفريقيا. وقد ظهر الحديث مبكرا عن مشاريع مختلفة تقضي باللجوء إلى الموارد البشرية التي تمتلكها المستعمرات من أهمها الجزائر.

1 -تجنيد الجزائريين

لم تكن طرق التجنيد وأساليبه إجبارية في بداية الأمر ، بل اعتمدت على التطوع مقابل أجرة ضئيلة ، غير أنها كانت مغرية بالنسبة للشباب الجزائري المجرد من مصادر ووسائل العيش وأشرك الجزائريون في عدة حروب استعمارية فرنسية ، كحرب القرم 1854 وحرب المكسيك 1860 ، والحرب ضد بروسيا 1870 ، والحملة لاحتلال تونس 1881 ، وحرب مدغشقر 1889 -1900.

ومع ظهور بوادر الأزمة المغربية في بداية القرن العشرين واستعدادات الأوربيين للحرب الداخلية ، تزايدت حاجة فرنسا إلى تدعيم قوتها العسكرية باللجوء إلى التجنيد الإجباري للشباب الجزائري ، على الرغم من معارضة الجزائريين والمعمرين على حد سواء.

لذلك عينت الحكومة الفرنسية لجنة للتحقيق في إمكانية تطبيق الخدمة العسكرية الإجبارية على الجزائريين عام 1907 ، وقد تبلورت نتائج عملها في مرسوم 17 جويلية 1908 القاضي بإحصاء الشبان الجزائري البالغين 18 سنة.

ولكن المسألة بقيت بدون تجسيد على أرض الواقع بسبب المعارضة الشديدة للكولون الذين لمسوا في المشروع خطرا على الوجود الاستعماري ، ومعارضة الجزائريين لاعتبارات سياسية ودينية.

غير أن تأزم وتوتر الأجواء السياسية الدولية عجل بصدور مرسوم 3 فبراير 1912 حول تجنيد الجزائريين لثلاث سنوات مع البقاء في فرق الاحتياط لمدة سبع سنوات بعد الانتهاء من الخدمة.

وجاء هذا المرسوم كتكملة للتجنيد عن طريق التطوع الذي لم يعط نتائج كبيرة ،ثم صدر مرسوم 19 سبتمبر 1913 حول العقوبات الخاصة بقانون التجنيد الإجباري.

وقد توسعت عملية التجنيد الإجباري في سنوات الحرب لتشمل كذلك الآلاف من الشباب المجند كيد عاملة مستمرة لخدمة الاقتصاد الفرنسي ودعم المجهود الحربي ، و تمكنت فرنسا من تجاوز محنة الحرب العالمية الأولى بفضل تضحيات عشرات الآلاف من الشباب الجزائريين في سبيل تحرير فرنسا من الاحتلال الألماني .

و لئن كانت الإحصاءات تختلف من مصدر إلى آخر و من طرف إلى آخر ، إلا أنها تجمع على أن نسبة القتلى من الجزائريين في الحرب الكبرى قد

بلغت 30% من مجموع المجندين في الفترة 1914-1918 ، بينما شكل عدد الجرحى بنسبة 50% من المجندين الجزائريين الذين بلغ عددهم 5600 مجند.

2-موقف النخبة الجزائرية

عارض الوطنيون الجزائريون مرسوم 1912 وشنوا حملة ضد التجنيد في صحفها ونواديها ، بل حرَّضوا الجزائريين على عدم الامتثال لأوامر الإدارة الاستعمارية والفرار من منازلهم.وقد استجاب الشباب الجزائري لنداءات الوطنيين ، فلم يلتحق بالثكنات في باتنة إلا 25 شابا من مجموع 144 ، بينما امتنع 159 من مجموع 160 مسجلا في ندرومة.

ولكن السلطات الاستعمارية صممت على التطبيق الشامل للقانون مباشرة بعد اندلاع الحرب العالمية الأولى ؛ وتمكنت من تجنيد حوالي 4000 شاب جزائري في نهاية شهر أوت 1914 عملت على إعطائهم التدريب العسكري الأولي قبل أن يقحموا في حرب لا علاقة لهم فيها.فيما طالبت حركة الأمير خالد بإدخال إصلاحات واسعة في كل الميادين من شأنها تغيير الأوضاع المأساوية للشعب الجزائري ، و تحسين تمثيله في مختلف المجالس ، و إلغاء القوانين الخاصة.

بالإضافة إلى موقف الحركة السياسية نجد مقاومة للتجنيد خلال الحرب العالمية الأولى ، و تمثل على وجه الخصوص في هجرة الجزائريين نحو البلاد العربية ،ضف إلى ذلك كثرة الانتفاضات و المقاومات المختلفة التي عمت كل الوطن مثل مقاومة الأوراس 1916

3-موقف الفرنسيين

وعلى الرغم من سكوت صحافة المستعمر ، وامتناع المؤرخين الفرنسيين عن إبراز تضحيات الجزائريين في سبيل إنقاذ فرنسا وشعبها ، فإن بعض الأصوات داخل فرنسا قد دعت إلى ضرورة منح بعض المكافآت السياسية والاجتماعية المحدودة للجزائريين.

غير أن فرنسا الاستعمارية كعادتها ، لم تستجب لمطالب الجزائريين إلا جزئيا ، و تمثل ذلك في الإصلاحات 24 فيفري 1919 لم ترقى إلى مستوى طموحات الجزائريين الذين أصيبوا بخيبة أمل عميقة ، جعلتهم يتيقنون من أن النظام الاستعماري الفرنسي لن يمنحهم حقوقهم مهما كانت ضخامة تضحياتهم.

وقد كانت معاناة الشعب الجزائري خلال الحرب الكبرى ، وموقف فرنسا من مطالبهم بعد 1919 ، السبب الرئيسي في الظهور المبكر للتيار الاستقلالي الثوري في الحركة الوطنية الجزائرية والذي مثله الامير خالد في عريضته التي قدمها إلى رئيس الأمريكي ويلسن و التي طالب فيها بضرورة تطبيق مبدأ حق تقرير المصير على الجزائريين.

4- المجهود الحربي للجزائر خلال الحرب العالمية الأولى 1914 - 1918

اندلعت الحرب العالمية الأول والجزائر في وضعية متدهورة جدا. وقد تحول الجزائريون إلى دروع بشرية احتمت بهم فرنسا من نيران الألمان، خصوصا وأنها كانت تشكو من نقص ديموغرافي منذ بداية القرن العشرين.

أسرعت إلى تجنيد أكثر من ثلث المليون شاب جزائري وأرسلتهم للدفاع عن أراضيها والقيام بالأعمال والأشغال التي تتطلبها مصانعها ومزارعها.

ولم يقتصر المجهود الحربي الجزائري على الجانب البشري فقط ،بل عانت الجزائر أيضا في المجال الاقتصادي ، فأنهك بذلك المجتمع وأدى إلى تقهقره أكثر.

5- المجهود الإقتصادي للجزائريين خلال الحرب العالمية الأولى

في المجال الزراعي ، ساهمت الجزائر بشكل كبير في عملية تموين فرنسا وأثناء الحرب العالمية الأولى على الرغم من تدهور الإنتاج الزراعي الجزائري من جراء عدة عوامل ، طبيعية وسياسية وبشرية.

ومثلت الحبوب الصنف الأول من الصادرات الزراعية، فأرسلت الجزائر نحو فرنسا بين 1914 و 1916 حوالي 8.314.000 قنطار من القمح ، بينما بلغت صادرات الشعير في نفس الفترة حوالي 12.770.617 قنطارا.

وقد شملت الصادرات عدة محاصيل زراعية كالطماطم والبطاطس والبيض التي وجهت لتموين المستشفيات التي تستقبل جرحى الحرب في فرنسا.

بالإضافة إلى ذلك أرسلت إلى فرنسا 120.000 قنطار من التبغ سنة 1917 ، بعد ما كانت صادرات التبغ لا تتجاوز 80000 قنطار قبل 1914.

وقد احتاجت فرنسا إلى الحلفاء ، فصدرت نحوها حمولة تزيد عن نصف مليون قنطار بين 1914 و1918 ؛ أما الزيوت فبلغت صادراتها هي الأخرى 27.730 طن في 1917.

وحتى التمور الجزائرية أدرجت في قائمة المواد الضرورية لتموين فرنسا ، فوصلت صادراتها 294.736 قنطارا عام 1917.

احتلت الثروة الحيوانية الصف الثاني في الصادرات الأساسية خلال الحرب بحيث تشير الإحصائيات الرسمية أن حجم الصادرات من الأغنام قد بلغ 2839206 رأسا في الفترة 1915 و1918.

وكان لذلك أثرا سلبيا على أسعار اللحوم في الجزائر التي ارتفعت بشكل حاد ولم تعد في متناول الجزائريين مهما كانت وضعيتهم الاجتماعية.

أما المواد المنجمية فشهدت بدورها زيادة كبيرة في الإنتاج الموجه للتصدير لتلبية ضرورات المصانع الحربية الفرنسية. فارتفع إنتاج الرصاص بـ 100 % بين 1915 و 1916 ليتواصل على نفس الوتيرة عام 1917. أما الزنك والفوسفات فقد تضاعف إنتاجهما بين 1915 و 1916 ، وزادت الكميات المنتجة من الفحم بنسبة 300 % بين 1917 و 1918.

6-المجهود المالي للجزائريين خلال الحرب العالمية الأولى

لم يقتصر المجهود الحربي للجزائريين خلال الحرب العالمية الأولى 1914 . 1918 على الجانب البشري والاقتصادي فحسب، بل تعداه إلى المجهود المالي.

ولقد اعترف الساسة الفرنسيون أنفسهم من خلال التقارير التي كانوا يزودون بها حكومتهم خلال الحرب ، أن الجزائريين يعانون من فقر كبير ومحرومون من أبسط الضروريات. مع ذلك فقد فرضت عليهم ضرائب عديدة ،أثقلت كاهلها حتى وصل الأمر عند الكثير منهم إلى بيع ما تبقى لهم من أملاك وأثاث لدفع ضرائب الحرب المسلطة عليهم.

ولم يراع الفرنسيون أحوال الأهالي وفقرهم ، فكانت حصيلة الضرائب المباشرة وغير المباشرة التي جمعتها الإدارة الفرنسية تفوق الـ50 مليون فرنك فرنسي في كل سنة في الفترة 1913 . 1919.

وخلاصة القول إن التضحيات التي فرضت على الجزائريين في إطار المجهود الحربي فاقت كل التصورات باعتراف المؤرخين الفرنسيين.

وكان من نتائج ذلك على المجتمع الجزائري أن تدهورت الأحوال المعيشية والصحية للجزائريين ، وتعرضوا للمجاعات من جراء الجفاف ، وارتفاع الأسعار ، وندرة المواد الزراعية ، وفقدانهم لجزء كبير من القوة البشرية الشابة التي جندتها فرنسا في سبيل حماية ترابها وشعبها من الاجتياح الألماني.

وكان لهذه المرحلة الأليمة من تاريخ الشعب الجزائري أثرها العميق في تنمية الوعي الوطني وفي تحديد مسار النضال السياسي في المرحلة ما بعد الحرب

المحاضرة الحادية عشر : إرهاصات الحركة الوطنية الجزائرية

ساهمت مجموعة من العوامل في ظهور الحركة الفكرية في الجزائر ، حولت نشاط الجزائريين من المقاومة الشعبية المسلحة الى المقاومة السياسية والفكرية، ونوجزها فيما يلي:

1-**فشل المقاومات الشعبية** لعدة اسباب منها، غياب عنصر التنظيم والتنسيق بين قادة المقاومات، والافتقاد للبعد الوطني لان اغلب المقاومات لم تخرج عن الاطار المحلي مما سهل على السلطات الفرنسية فرض الحصار عليها، اضافة الى افتقادهم للخطط العسكرية والاستراتيجية.

2-**السياسة الفرنسية** القائمة على الابادة والقمع واصدارها للقوانين المجحفة والزجرية، ومحاربة القضاء الإسلامي وسياسة التجهيل والفرنسة وطمس اللغة العربية وسياسة التجنيس والإدماج.

3-**سياسة الحاكم العام شارل جونار** في فتح المجال للحركة الادبية والفكرية امام الجزائريين لاستمالتهم.

4-صدور **قرار التجنيد الاجباري** للشبان الجزائريين في الجيش الفرنسي في 3 فيفري 1912 وما تلاه من ردود افعال ساهمت في تفعيل مطالب الجزائريين.

5-**بروز نهضة فكرية واعلامية** قادها جماعة من المثقفين الجزائريين باختلاف تكوينهم العربي الاسلامي والفرنسي ، لعبوا دورا كبيرا في رفع المطالب عن طريق العرائض والوفود ، بعد اقتناعهم عدم نجاعة الاستمرار في النضال المسلح بسبب التفوق العسكري الفرنسي.

6- **مشاركة الجزائريين الحرب العالمية الاولى** 1914-1918 ،للدفاع عن فرنسا والمشاركة في تحريرها من النفوذ الالماني ، قد دفع بالجزائريين ان يشعروا بانه من حقهم الحصول على المساواة في الحقوق و في التصويت الانتخابات.

7-**ظهور النخبة الجزائرية** ونضالهم الفكري والسياسي: ظهرت بالجزائر في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين نخبة مثقفة حملت على عاتقها مسؤولية النضال السياسي والفكري، انقسمت الى تيارين :

-**التيار الأول** مثله أنصار الجمع بين الاصالة والحداثة خريجو المدارس العربية الاسلامية أمثال الزيتونة والقرويين والازهر، كانوا يسمون بكتلة المحافظين كان شعارهم "نعم للإصلاح بشرط المحافظة على الهوية الاسلامية" ، من اهم اعضائها عبد القادر المجاوي وعبد الحليم بن سماية والمولود بن الموهوب ومحمد بن رحال والدكتور محمد بن العربي وعمر بن قدرو وعمر راسم وابو القاسم محمد الحفناوي وحمدان لونيسي ومحمد بن ابي شنب وغيرهم. كانت لهم مواقف ايجابية تجاه حركة الجامعة الاسلامية والاصلاح الاسلامي ومتعاطين مع الدولة العثمانية والنهضة العربية بالمشرق ، وعارضوا سياسية التجنيد الاجباري للجزائريين وغيرها من القضايا.

-**التيار الثاني**: مثله النخبة المثقفة خريجو المدارس الفرنسية التي انبهرت بالحضارة الغربية الاوروبية ودعت الى الاندماج ،يقول علي مراد عن هذه الطبقة " فهم مثقفون مسلمون ولدوا في اغلبيتهم في السياسة " ،واطلق المؤرخون الفرنسيون عليهم باسم حركة الشبان الجزائريين على غرار الشبان الاتراك والشبان التونسيون والشبان المصريون . ومن زعماء هذا التيار اسماعيل حامت وبلقاسم بن التهامي والشريف بن حبيلس وعمر بوضربة وبلقاسم بن سديرة والطيب مرسلي وغيرهم، كانت لهم مواقف من بعض القضايا ، كانعدام المساواة بين الجزائريين والفرنسيين وعدم وجود تمثيل سياسي للجزائريين، كما

رفعوا مطالب سياسية عبرت عن انشغالاتهم تجاه الجزائر كالمطالبة بالمساوة في الحقوق والواجبات.

8-**ظهور الصحافة** التي ساهمت في تكريس الوعي السياسي والثقافي من خلال كشف الممارسات التعسفية الادارة الفرنسية في حق الجزائريين ، وحثهم على المطالبة بتحسين اوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية، فكان لها الفضل في بلورة الوعي النضالي السياسي ،رغم ركاكتها والترجمة الحرفية للصفحات الفرنسية بحيث قال محمد عبده عنها لما زار الجزائر سنة 1903" رغم عيوبها تمثل للجزائريين شعاعا مضيئا" كما لعبت في تكوين نخبة من الاهالي الجزائريين في ميدان الصحافة ، وطرح بعض القضايا التي كانت تهم المجتمع الجزائري مثل التمثيل البياني وحقوق المواطنة وقضية الضرائب وغيرها ، ولما ادركت النخبة الجزائرية المثقفة بأهمية الصحافة لبث افكارهم وتوعية الجزائريين ،أنشأوا الجرائد التي كانت تصدر باللغتين العربية والفرنسية، منها جريدة المنتخب سنة 1832، وجريدة النصيح الاسبوعية سنة 1899، ثم مع مطلع القرن العشرين توالت الصحف فظهرت جريدة الحق الوهرانية سنة 1902، ثم توقفت لتعود مابين 1911-1912 برئاسة عمر راسم وصحيفة المغرب بين 1903-1913 ،وجريدة المصباح الاسبوعية بوران سنة 1904 وصحيفة الجزائر سنة 1908 التي اصدرها عمر راسم ، وجريدة الاسلام بعنابة ما بين 1909-1911 ، ثم بالعاصمة 1912-1914 وكان مدريها الصادق دندن ، وصحيفة الفاروق سنة 1912 الذي اصدرها عمر بن قدور وعموما صدرت من سنة 1907 الى سنة 1913 خمسة عشر جريدة في بعث الوعي السياسي رغم جهود السلطات الفرنسية في عرقلتها والتشويش عليها.

9-**تأسيس الجمعيات والنوادي الثقافية**:بعد أن فشلت الإدارة الاستعمارية في فرنسة الشعب الجزائري ، وجهت أنظارها نحو إقامة جمعيات لاستقطاب عدد كبير من الجزائريين بمغريات اكبر، وبعد التردد المستمر على المراكز يسهل هذا في عملية سلخ

الجزائريين من الشخصية العربية الإسلامية، وتذويبها في الشخصية الفرنسية، ولكن المصلحين والمجددين الجزائريين وسعوا نشاطهم الإصلاحي، بتأسيس جمعيات ونوادي ثقافية لإيصال اكبر قدر ممكن من الأفكار الإصلاحية وخاصة لفئة الشباب، ومن بين الجمعيات والنوادي التي لعبت دورا بارزا في توسيع الدائرة الثقافية في هذه الفترة نذكر :

-الجمعية الراشيدية :

جمعية ودادية لقدماء تلاميذ المدارس العربية، الفرنسية لمدينة الجزائر، تأسست سنة 1902، تحت رعاية فرنسيين متعاطفين مع السكان، أهدافها كانت مركزة على تعريف هذه الفئة، على الثقافة الفرنسية لدمجهم في الوسط الفرنسي. وكانت تعطى المحاضرات باللغتين، وتساعد المجتمع المسلم الفقير والمهمل، وتتيح للنشء الجديد فرص التقدم والرقي .

ولقد كانت متفتحة على روح العصر من خلال مواضيع المحاضرات، (أدب، قانون، سياسة وعلوم) ومنها: محاضرة بعنوان "تاريخ الطب العربي" للدكتور بن بريهمات، ومحاضرة بعنوان "العليم" للسيد فتاح، أما الدكتور بن تامي فتناول موضوع "مرض السل"، كما ألقيت بها عدة محاضرات حول الحضارة الإسلامية، أهمها "الإسلام واللغات الأجنبية" لبن زكري، "تاريخ الأدب الإسلامي" لبن سماية، والقي الحفناوي محاضرة بعنوان "فرنسا، الحرية، المساواة".

-الجمعية التوفيقية:

تأسست بمدينة الجزائر سنة 1908 من طرف مثقفين جزائريين وبعض الليبراليين الفرنسيين، وترأسها الدكتور بن التهامي، هدفها جمع الجزائريين الذين يريدون تثقيف أنفسهم وتطوير أفكارهم، سجلت هذه الجمعية عملا ثقافيا واسعا، كان له اثر كبير على النخبة والمجتمع،

كما تنوعت محاضراتها ونشاطاتها الثقافية، ونذكر منها: استدعاء الأستاذ بليتي Peltiev الذي ألقى محاضرة بعنوان "فوائد العارف"، وألقى أيضا محاضرة بعنوان "القانون الإسلامي العام"، وألقيت محاضرة بعنوان "ملامح العالم الإنساني المعاصر" من طرف صوالح محمد محاولا من خلالها إظهار العلاقة القائمة بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي، ونظمت فيها محاضرات علمية في سنة 1911 ظهرت من خلالها اهتمامات المصلحين والتي كانت تدور حول قضايا التجديد ومسايرة روح العصر وإحياء التراث العربي الإسلامي.

ولقد ساهمتالجمعية في إنماء الثقافة العربية لدى الشباب الجزائري، و أظهرت أهمية التراث الجزائري وحاولت التقريب بين الجزائريين والفرنسيين، إلى جانب هذه الأعمال كانت كسابقاتها تساعد وتحسن إلى التلاميذ الفقراء، وتوقف نشاطها سنة 1913 لان اغلب أعضائها النشطين قد تطوعوا في الجيش الفرنسي.

الجمعية الصديقية:

تأسست سنة 1913 من طرف السيد عباس بن حمانةوالشيخ الحاج بكير العنق،وأهدافها تتمثل في العناية بالتربية الإسلامية، ونشر التعليم العربي، القيام بالإصلاح الاجتماعي وإحياء اللغة العربية وتنوير المجتمع ثقافيا عن طريق محاضرات وانشطتها الترفيهية.

أنشأت مدرسة قرآنية عصرية حرة بتبسة سنة 1913 وعينت فيها مدرسين ماهرين من تونس هما: احمد بن صالح، ومحمود بن محمد، أما برامجها التربوية فكانت تساير العصر وتستجيب لحاجيات المجتمع، فبادرت سلطات الاحتلال خوفا من النشاط الإصلاحي إلى حل الجمعية وأوصدت أبواب مدرستها في وجه الطلاب، وتم نفي المعلمين.

. الجمعية الودادية للتلاميذ المسلمين في شمال إفريقيا:

بعد الحرب العالمية برزوعي سياسي وحركة سياسية مطالبة بالحقوق وخاصة عند الطلبة الجزائريين الذين عانوا سياسة التعسف والتهميش من طرف الإدارة وهنا ظهرت حاجتهم لإقامة هيئة تنظيمية لهم، في حدود سنة 1918 للمطالبة بحقوقهم المادية والبيداغوجية وأطلقوا عليها تسمية "الجمعية الودادية للتلاميذ المسلمين في شمال افريقيا"، وحاولت من خلال المحاضرات إضفاء جو ثقافي بمناقشتها لقضايا ثقافية وفكرية.

وأصدرت في سنة 1927 نشرية أبرزت فيها معالم حياة المنظمة منذ تأسيسها إلى ذلك الحين، وفي سنة 1930 أنشئت مجلة "التلميذ " والتي كانت تهتم بالثقافة وبقضايا الإصلاح وشارك فيها العديد من الكتاب السياسيين المستقلين أمثال توفيق المدني.

جمعية الأخوة الجزائرية:

أسسها الأمير خالد بمدينة الجزائر في 23 جوان 1922 وأصبح رئيسا عليها ونائبه ابن التهامي، هدفها البحث على وسائل لتحسين أحوال المجتمع الجزائري ماديا ومعنويا وفكريا واقتصاديا وسياسيا.واتخذت من الأهداف التالية محور برنامج هذه الجمعية:

- تطبيق شامل لقانون 4 فيفري 1919.
- التمثيل البرلماني للسكان الجزائريين المسلمين الذين لم يحصلوا على الجنسية الفرنسية.
- تطبيق المساواة وتمثيل عادل للمسلمين في المجالس الجزائرية.
- الإلغاء النهائي لقوانين الانديجينا (قانون الأهالي).
- تعميم التعليم.

وكان مسعى الأمير خالد من تأسيس الجمعية هو تعزيز الروابط الأخوية بين الجزائريين والمحافظة على الشخصية الجزائرية ولقد اعتبرت هذه الجمعية بمثابة حزب سياسي، ولقد لقيت إقبالا من المجتمع الجزائري.

وكانت الإدارة الفرنسية متخوفة من عملها من خلال مراسلة سرية بعث بها ضابط عسكري رئيس الملحق العسكري بالاغواط، إلى القائد العسكري بمنطقة غرداية في تقريره على ضرورة إبلاغ الحاكم العام في الجزائر بخطورة جمعية الاخوة على المستوى الوطني، وهكذا أخذت الإدارة تتعذر بأعذار واهية إلى أن نفت الأمير وأوقفت عمل الجمعية بنفي الأمير إلى الإسكندرية.

نادي صالح باي:

تأسس سنة 1907 بقسنطينة من طرف السيد اريب Arripe نائب رئيس مجلس عمالة قسنطينة، والأمين العام لنفس العمالة ، وتولى الحاكم العام جونار الرئاسة الشرفية لنادي صالح باي.

وكان على شكل جامعة شعبية، وله برنامج عريض لقي تأييدا من طرف الفرنسيين والمتعاطفين مع الجزائريين، ولقد شاركته مجموعة من النخبة الجزائرية المثقفة مثل ابن الموهوب، ابن العابد، مصطفى باشطارزي، كمستشارين.

وكان عبارة عن ملتقى للدراسات الأدبية والعلمية والاقتصادية والاجتماعية ومجالا مفتوحا للمحاضرات والدروس وكان يدعو إلى التجديد ومحاربة الجمود والانحرافات عند الشباب الجزائري، وساهم بن الموهوب بثقافته في هذا النادي من خلال إلقائه لمجموعة من المحاضرات، عالجت القضايا الاجتماعية والأدبية.

ولقد كان هذا النادي يضم سنة 1908 حوالي 1700 عضو وكانت له فروع في العديد من مدن الجزائر.

نادي الشبان الجزائريين:

تأسس بمدينة القرارة سنة 1911 ،تتمثل أهدافه في خلق جو من الترفيه والمناقشة في بعض المواضيع الأساسية كالآفاق الاجتماعية، نشر التعليم وبعض القضايا الجوهرية،

عرف نشاطا ثقافيا متنوعا، فكان يقدم محاضرات أدبية وعلمية واقتصادية ومنها: محاضرة للشاب طالب عبد السلام تمحور تحول أسباب انحطاط المجتمع الجزائري، وألقى الأستاذ إسماعيل محمد محاضرة بعنوان التعاون وفوائده، حث فيها على ضرورة التعاون والتكاتف في جميع المجالات.

نادي الاقبال:

نشأبمدينة جيجل في سنة 1919من طرف نخبة من الشباب وكان رئيسه الشرفي "خلاف عبد الرحمان" ونائبه بوربون فرحات، أما الرئيس الفعلي للنادي فهو بن يحي عمر وخلاف مختار نائبا له.

ويبدو أن جل مسيريه من الطبقة البرجوازية والمثقفين بالثقافة الفرنسية، و كان مواليا لفرنسا ويظهر ذلك عند تدشين نادي الإقبال في سنة 1919 حيث انتهى الاجتماع بالنشيد الفرنسي وبالهتاف "تحيا فرنسا"، ولكن هذا لا يعني أن النادي لم يساهم في اليقظة الوطنية وذلك من خلال محاضراته التي كانت تلقى فيه ومتابعة التطورات في العالم الخارجي التي قضت على العزلة التي كان يعاني منها الجزائريون، وساهم في توعية الشعب بمنحه مجالا لتتبع الأفكار الجديدة التي نتجت عن الحرب العالمية الكبرى.

-نادي الترقي:

تأسس سنة 1927 بالجزائر العاصمة من طرف اعيان وتجار العاصمة فكرا اصلاحيا وهو امتداد لأفكار النخبة المحافظة، أمثال محمود بن ونيش ومحمد بن مرابط وموهوب بن علي وغيرهم، ويعتبر النادي النواة الاولى لتشكيل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ومن اشهر خطبائه الشيخ الطيب العقبي.

بالإضافة الى هذه النوادي والجمعيات الثقافية هناك نوادي اخرى لعبت دورا لا يستهان به في تنوير عقول الشباب وتنشيط الساحة الثقافية والادبية، مثلجمعية الهلال بالجزائر

العاصمة، نادي التقدم بعنابة ، المؤسسة الاسلامية بقسنطينة ، ودادية العلوم الجديدة ، وجمعية الاخوة بمعسكر وغيرها.

ومما سبق ذكره عن الجمعيات والنوادي والأدوار التي كانت تقوم بها نجدها قد مهدت لظهور الأحزاب السياسية، على الرغم من إن أهم القوانين التي كانت تقوم عليها الجمعيات والنوادي هي عدم الخوض في الأمور السياسية، وذلك تبعا للقانون 1901 ولكن هذه المراكز مثلت أعضاءها الذين كانت لهم اتجاهاتهم السياسية، وساهمت في ظهور صحافة جزائرية عربية، وبث روح النهضة والتعريف بالأفكار الجديدة عن طريق تنظيم محاضرات ومطالعة الصحف الواردة عليها من الخارج.

كما شكلت ملتقى للطبقة المتنورة، لتبادل الأفكار ومناقشة قضايا الساعة، وكانت كوسائل دعاية للشباب الجزائري لبث أفكارهم والتعريف ببرنامجهم قبل أن يتمكنوا من إصدار صحفهم الخاصة. وكانت ملتقى للأفكار الحديثة، ولبث الوعي الوطني في نفوس الجزائريين، وتطوير المجتمع الجزائري، ويقظة الجزائريين.

10-حركة الأحياء التاريخي:

ظهر اهتمام بعض المثقفين الجزائريين، مع مطلع القرن العشرين بنشر وكتابة تاريخ الأجداد، وتولى هذه المهمة نخبة من المثقفين نذكر منهم: ابن أبي شنب، بن الخوجة، أبو القاسم الحفناوي.

ساهم هذا الأخيربكتابه: "تعريف الخلف برجال السلف"وحاول من خلال كتابه تكذيب مزاعم الإدارة الفرنسية حول عدم وجود الأمة الجزائرية فأبرز أن جذورها تمتد إلى العصور الغابرة، وان ثقافتهم لا تقل عن ثقافة الأمم الأخرى، وبالتالي فعلى الأجيال الصاعدة إدراك ذلك والمواصلة في هذا المجال والنشاط الثقافي الذي بدأه الأجداد، فمن خلال

كتاباته حاول التأكيد لفرنسا بان الجزائريين لا يمكن ان ينفصلوا أو ينقطعوا عن أصولهم الضاربة في التاريخ.

أما ابن أبي شنب فقد اهتم بتحقيق ونشر عدد من المؤلفات ابرز من خلالها دور كل من بجاية وتلمسان في تاريخ الحضارة الإسلامية في هذه البلاد، وقام بتهذيب ونشر عدة كتب منها: الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة في بجاية، لأبي العباس احمد الغربيني، وقام ايضا بتصحيح كتاب طبقات علماء افريقيا، لأبي العرب محمد بن احمد بن تميم التميمي، وكتاب طبقات علماء إفريقيا لمحمد بن الحارث بن أسد الخشني،ومن كتب التراث الخاصة بالرحلات "كتاب نزهة الانظار في فضل علم التاريخ والأخبار" للحسين الورتيلاني والمعروف "برحلة الورتيلاني"، طبع بمطبعة فونطانا بالجزائر سنة 1908.

أما بن الخوجة، فقد وجه اهتمامه الى نشر آثار تركها بعض العلماء مثل "آثار الشيخ عبد الحمان الثعالبي"، فحققها ونشرها في ثوب جديد، مما جعل تلك الآثار تحظى باهتمام كبير وانتشار واسع بين المسلمين في الجزائر وإفريقيا.

11-المسرح الجزائري ودوره في النهضة:

كان هذا الفن شبه معدوم في الجزائر إذنجد أشكاله القديمة والبدائية والمتمثلة في الكراكوز، والتي تعود الى سنة 1835 فقد كانت حفلات الكراكوز تقام في شهر رمضان و يحضرها عدد كبير من المواطنين وحتى الأوروبيين، وكان الكراكوز أهم شخصية في المسرحية، يرتدي لباسا بدويا ويمتاز بطول القامة، لا يظهر فوق المنصة إلا ليتبادل الضربات مع الممثلين، ويثور عندما يراهم لابسين ثياب الجنود الفرنسيين، فيبادلهم اللكمات ، ولعل موقفه هذا يرمز إلى استمرار المقاومة في البوادي والأرياف.

وعليه رأت سلطات الاحتلال أن مواضيع الكراكوز تتنافى والوجود الفرنسي فأصدروا قانون يمنعه سنة 1843 فاختفى إلى الأبد.

ولقد اختلفت الآراء حول تحديد جذور المسرح الجزائري، فهناك من يرجح بدايته إلىحضور الأمير خالد في فرنسا إلى حفل أقامه الممثل المسرحي جورج ابيض سنة 1910 حيث طلب من الممثل المصري أن يزوده ببعض النصوص المسرحية، فبعث هذا الأخير بعد سنة 1911، ثلاث مسرحيات إلى الأمير،مما شجع الأمير على تأسيس المسرح الجزائري، ففي سنة 1911 تشكلت جمعيات ثقافية مسرحية مثل: جمعية المسرحية بالمدية، وفرقة المسرحية بالعاصمة، وفرقة المسرحية بالبليدة.

ومع بداية سنة 1912 بدأ التمثيل المسرحي العربي في الجزائر، إذ مثلت فرقة المدية مسرحية "المروءة والوفاء" وفرقة العاصمة مثلت مسرحية "ماكبث" ونفس المسرحية قدمتها أيضا فرقة البليدة، وفي سنة 1913 قدمت فرقة مسرحية مقتل الحسين، وفي السنة الموالية قدمت مسرحية يعقوب اليهودي.

ومن الدارسين لتاريخ المسرح الجزائري مثلمحي الدين باشطارزيمنيعتبر أن بداياته الأولى كانت مع حلول حينما قدم جورج ابيض إلى الجزائر سنة 1918، رفقة فرقته لنشر الفن المسرحي والدعاية له في شمال إفريقيا. وعليهكونت مجموعةمن الجزائريين ثلاث فرق مسرحية، الأولى باسم "جمعية الطلبة المسلمين" و الثانية باسم "المهذبة"، والأخيرة في الخامس من شهر أفريل 1921 ثم تواصلت فرق أخرى وقدموا أعمالهم الفنية التي ساهمت في بروز المسرح الشعبي والذي لقي صدى كبيرا بين الشعب، وساهم في التطور الملحوظ في الحياة الثقافية وبروز اليقظة داخل المجتمع الجزائري، وفك الجمود والدعوة إلى مواكبة العصر ، فجاءت اغلب المواضيع وطنية وإسلامية على سبيل المثال "صلاح الدين الأيوبي"، "في سبيل الوطن"، "فتح الأندلس".

ولقد بارك عمر بن قدور في جريدة "الفاروق" ميلاد الحركة المسرحية، واعتبرها بداية فاعلة في حياة الجزائر الثقافية، وذلك باعتبار أن جل المسرحيات التي مثلت على خشبة المسرح أخذت من التاريخ الإسلامي والأدب العربي والعالمي.

12-إرسال الوفود والعرائض:

لم تكن حركة الوفود وتقديم العرائض وليدة القرن العشرين ، بل بدأها الجزائريون في المرحلة الاولى من الاحتلال الفرنسي، وقد افتتح هذا العمل حمدان خوجة ، ثم تطور بتقديم عرائض ورسائل احتجاجية الى الحكومة الفرنسية، ففي سنة 1860 تقدم الجزائريون بعريضة محتجين فيها ضد مشروع انشاء حكم مدني في الجزائر، بعدها راسلوا نابليون الثالث والادارة الفرنسية في الجزائر مذكرين بالتزامات فرنسا في اتفاق الجزائر سنة 1830، ومطالبين بوضع حد لسلطة المستوطنين .

وفي سنة 1887 اغتنم الجزائريون فرصة مناقشة المجلس الوطني الفرنسي لمشروع تجنيس الاهالي بطريقة جماعية، أرسلوا عريضة باللغتين العربية والفرنسية الى المجلس أعلنوا فيها معارضتهم المطلقة للتجنيس، وطالبوا فرنسا ان تتركهم يحتفظون بشخصيتهم وتقاليدهم.

وفي خضم الاوضاع التي كانت تعيشها الجزائر اوفدت سنة 1892 لجنة مجلس الشيوخ الفرنسي برئاسة جول فيري لتقصي مشاكل الجزائريين ، لاحظ من خلال زيارته اعراض الجزائر الفتاة التي مازالت في طور التكوين واستخلص بمقولة " اتركونا وحدنا" ، وبناء على تقريره فان الجزائريين قد قدموا عرائض ومطالب معتدلة ومعقولة وعملية ، اشتملت على معارضة التجنس والتجنيد العسكري الاجباري وفرض التعليم الفرنسي والتدخل في الشؤون المدنية . وفي تقرير من الجنرال لاراشي الى الحكومة الفرنسية استخلص نفس النتائج، فهو يعتقد ان الجزائريين كانوا مستعدين بشكل واضح للنشاط السياسي.

ومع بداية القرن العشرين توسعت حركة العرائض واخذت مجرى اخر خاصة بعد اقتراح قانون التجنيد العسكري الاجباري سنة 1908، وما صاحبه من حركات احتجاجية

فقد كان الجزائريون مجمعين في معارضتهم لهذا القانون، فقد وقف ضده المحافظون لمعارضته نصوص اتفاق 1830، وأوضحوا انه كان ضد ارادتهم الدينية التي تحتم عليهم ان لا يعملوا تحت علم غير إسلامي.

وفي حقيقة الامر اتخذت المعارضة الجزائرية للتجنيد الاجباري اربعة اشكال: الشغب في الشوارع ، العرائض ، الوفود، والاختفاء . وكل هذه الاشكال كانت مثيرة وموجهة بحملة عنيفة من قبل الصحافة الوطنية.

وبهذه اليقظة والوعي أظهرت الجزائر الفتية تحديا جديدا لفرنسا . وأما على المستوى الرسمي قدم الجزائريون عرائض ورسائل ولوائح معبرين فيها عن معارضتهم لسياسة التجنيد الاجباري ، والامر الذي اعطى دفعا قويا لهذه العرائض هي " لجنة الدفاع عن مصالح المسلمين الجزائريين " التي أنشئت سنة 1908، فمطالبة الجزائريين بأن الحصول على الحقوق السياسية مرهون في قبول التجنيد الاجباري.

في شهر ماي 1912 أقدمت جماعة النخبة المفرنسة بإرسال عريضة الى الحكومة الفرنسية والمجلس الوطني الفرنسي شديد اللهجة التي عبروا فيها ان قانون التجنيد الاجباري الصادر في فيفري 1912 معاديا للديمقراطية ومهينا للجزائريين وغير عادل.

13-**تأثير حركة الهجرة الخارجية** والواسعة الى المشرق العربي واوروبا التي كان لها دور هام في توسيع آفاق النشاط السياسي بالجزائر في الفترة من مطلع القرن الـ20 الى نهاية الحرب العالمية الاولى، حيث تعرف المهاجرون الجزائريون على ما يجري في العالم من حركات سياسية وكفاح للاستعمار، واحتكوا بالهيئات والأحزاب السياسية ، وتعرفوا على النظم والقوانين.

ومن جهة اخرى الهجرة الى الحواضر العلمية مثل الزيتونة بتونس و القرويين بالمغرب والازهر بمصر لطلب العلم والمعرفة ، التي اثمرت في بروز حركة النهضة والاصلاح في الجزائر على يد نخبة من المصلحين امثال الشيخ عبد الحميد بن باديس.

14-**تأسيس الجامعة الاسلامية** وأثره الإيجابي على أغلبية الجزائريين من خلال الافكار الاسلامية التي كان يدعو لها نخبة من المفكرين الاسلاميين وعلى رأسهم جمال الدين الافغاني ومحمد عبده في جريدة العروة الوثقى.

إن هذه المؤشرات الثقافية والفكرية ساعدت على إيقاف فصل الجزائريين عن ماضيهم القومي فقد أدرك الجزائريون فشل العمل المسلح ، و أنه من الضروري الاتجاه نحو إصلاح المجتمع الجزائري وهذا دليل على بداية الوعي و ظهور يقظة داخل صفوف الشعب الجزائري.

خاتمة

نستنتج ما سبق ذكره ان نهاية الحكم العثماني في الجزائر كانت ممهدة لوقوع الجزائر في يد الاحتلال الفرنسي الذي كان قد مهد لذلك منذ نهاية القرن الثامن عشر بمخططات ومشاريع مختلفة نجحت في بسط الهيمنة على الجزائر 1830، والتي ولدت ردود فعل وطنية في شكل مقاومات منظمة وانتفاضات شعبية تصدت للسياسة الفرنسية العسكرية والمدنية ثم استمرت في شكل مقاومة فكرية وثقافية نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، مهدت لظهور حركة وطنية جزائرية بعد الحرب العالمية الأولى .

قائمة المصادرو المراجع

1-المصادر:

أ-المصادر باللغة العربية:

1-مذكرات احمد باي وحمدان خوجة وبوضربة:تحقيق وتقديم: محمد العربي الزبيري،ط2،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،1981.

2-مذكرات الحاج احمد الشرف الزهار،نقيب اشراف الجزائر(1754-1830)،تحقيق :احمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.

3-حمدان بن عثمان خوجة ،المرآة،تقديم وتعريب وتقديم:محمد العربي الزبيري، ط.خ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،2005.

4-محمد بن عبد القادر الجزائري،تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والامير عبد القادر،شرح تعليق : الدكتور ممدوح حقي،ج2،ط2،دار اليقضة العربية، 1964.

5-شارل هندي تشرشل،حياة الأمير عبدالقادر، ترجمة وتعليق:د.ابو القاسم سعد الله، الدار التونسية للنشر، تونس،1974.

6-مذكرات الامير عبد القادر ،سيرة ذاتية كتبها في السجن سنة 1849 ،تحقيق وتعليق : محمد الهادي الحساني مع مجموعة من الاساتذة،ط2،دار الامة الجزائرية،1995.

2-المراجع باللغة العربية:

1-ابو القاسم سعد الله،محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال ،ط.خ،عالم المعرفة،الجزائر،2015.

2- ابو القاسم سعد الله،خلاصة تاريخ الجزائر المقاومة والتحرير 1830-1962،ط1،دار الغرب الاسلامي، بيروت ، لبنان، 2007.

3- ابو القاسم سعد الله،الحركة الوطنية الجزائرية ،ج1،ط.خ،عالم المعرفة، الجزائر،2015.

4- ابو القاسم سعد الله،الحركة الوطنية الجزائرية1830-1900،ج1،ط1،دار الغرب الاسلامي ،بيروت ،لبنان، 1992.

5- ابو القاسم سعد الله،الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1900، ج1،ط.خ،عالم المعرفة للتوزيع والنشر ،الجزائر ،2015.

6-أرزقي شويتام،نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره 1800-1830،ط1،دار الكتاب العربي،الجزائر ،2011.

7-أديب حرب،التاريخ العسكري والاداري للاميرعبد القادر الجزائري،ج1،ط2،دار الرائد للكتاب ،الجزائر ،2004.

8-ابراهيم مياسي، توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري 1881-1912،منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر.

9-حسين مؤنس،تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح الاسلامي الى الغزو الفرنسي ، المجلد الثاني ، الجزآن 2و3،ط1،العصر الحديث للنشر والتوزيع،بيروت،لبنان،1992.

10-جمال قنان،العلاقات الجزائرية الفرنسية،مج2،ط.خ،منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر ،2009.

11-جمال قنان ،دراسات في التاريخ المعاصر ،مج6،منشورات وزارة المجاهدين ،الجزائر، 2009.

12-جمال قنان، قضايا ودارسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، مج4،منشورات وزارة المجاهدين،الجزائر ،2009.

13-جمال قنان، دراسات في المقاومة والاستعمار ،مج4،منشورات وزوارة المجاهدين،الجزائر، 2009.

14-جمال قنان ،التعليم الاهلي في الجزائر في عهد الاستعمار 1830-1914،مج6،منشورات وزارة المجاهدين،الجزائر ،2009.

15-سعيد بورنان،شخصيات بارزة في كفاح الجزائر1830-1962،رواد المقاومة الوطنية في القرن 19،ج1،ط2،دار الامل،الجزائر،2004.
16-شارل روبير اجرون ،الجزائريون المسلمون وفرنسا1871-1919 ،ج1 ،تر:م.الحاج مسعود،دار الرائد للكتاب،الجزائر، 2007.
17-شارل روبير اجرون،تاريخ الجزائر المعاصرة من انتفاضة 1871 الى اندلاع حرب التحرير1954،مج2،تر:عياش سلمان واخرون ،دار الامة ، الجزائر ، 2013.
18-صالح فركوس ، الحاج احمد باي قسنطينة 1826-1850،ديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر،1993.
19-علي تابليت ، العلاقات الجزائرية الامريكية 1776-1830،ج2،منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر،2013.
20-عثمان سعدي، الجزائر في التاريخ،ط1،دار الامة ،الجزائر،2011ز
21-عمار بوحوش،التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962،ط1، دار الغرب الاسلامي،بيروت ، 1997.
22-عميراوي حميدة، دراسات في التاريخ الجزائر الحديث، ط2،دار الهدى ، الجزائر،2004.
23-عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام،ج4،ط7،ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر،1994.
24-عبد الحميد زوزو، ثورة بوعمامة 1881-1908،ج2،ط1،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1983.
25-الغالي غربي وآخرون، العدوان الفرنسي على الجزائر الخلفيات والابعاد، ط.خ،م.م.و.د.ب.ح.و.ث.أ.ن.54،الجزائر،2007.
26-محمد الطيب العلوي، مظاهر المقاومة الجزائرية1830-1954،ط3 مزيدة ومنقحة،منشورات وزارة المجاهدين ، بدون تاريخ.

27-محمد سي يوسف،مقاومة منطقة القبائل للاستعمار الفرنسي ثورة بوبغلة، دار الامل، الجزائر،2012.

28-محفوظ قداش ، جزائر الجزائريين تاريخ الجزائر 1830-1954،تر:محمد المعراجي، ط.خ، منشورات ANEP،الجزائر،2008.

29-محمد ناصر، تاريخ الصحافة العربية الجزائرية، ج1،ط.خ،عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015.

30-ناصر الدين سعيدوني، تاريخ الجزائر في عهد العثماني،دار البصائر للنشر و التوزيع، الجزائر،2013.

31-الوناس حواس،نادي الترقي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية، دار شطايبي ، الجزائر، 2013.

فهرس المحاضرات

المحاضرة الأولى: الأوضاع العامة للجزائر قبل الاحتلال الفرنسي 1827- 1830 02

المحاضرة الثانية: اسباب الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830.....17

المحاضرة الثالثة: مراحل الغزو الفرنسي للجزائر سنة 1830.....23

المحاضرة الرابعة:ردود الفعل الوطنية والمقاومة بالمتيجة 1830-1837.....31

المحاضرة الخامسة :المقاومة الشعبية ببايلك الشرق الجزائري

بقيادة أحمد باي من1830-1848 36

المحاضرة السادسة : مقاومة الأمير عبدالقادر بالإقليم الغربي 1832-1847.....46

المحاضرة السابعة: باقي المقاومات الشعبية المسلحة.....59

المحاضرة الثامنة: السياسة الفرنسية في الجزائر بين النظام العسكري و سياسة نابليون الثالث 1830-1870.....66

المحاضرة التاسعة: سياسة الجمهورية الثالثة في الجزائر 1870-1900.....73

المحاضرة العاشرة: الجزائر والحرب العالمية الأولى 1914-1918 72

المحاضرة الحادية عشر: إرهاصات الحركة الوطنية الجزائرية 86

خاتمة : 100

قائمة المصادروالمراجع:.....101

فهرس عناوين المحاضرات :.....105